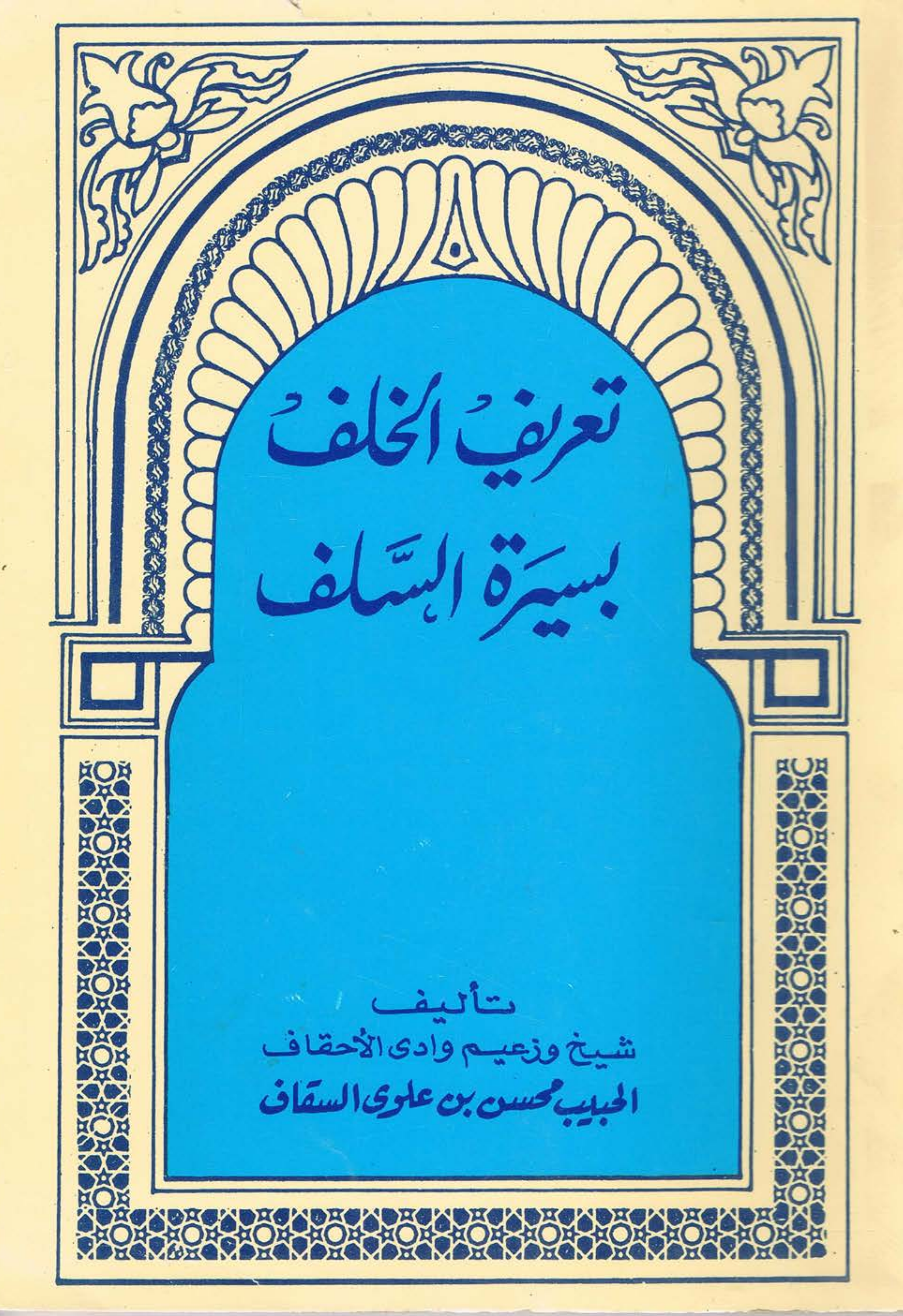

تعريف الخلف
بسيرة السلف
تأليف
شيخ وزعيم وادى الأحقاف
الحبيب محسن بن علوى السقاف

تعريف الخلف
بسيرة السلف

تأليف

شيخ وزعيم وادى الأحقاف
الحبيب محسن بن علوى السقاف

(الطبعة الثانية)
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

طبع على نفقة حفيد المؤلف
محسن بن علوى بن عبدالله السقاف

إشـــراف
حفيـد المؤلف
سقاف بن علوى بن عبدالله السقاف

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف بالكتاب

باسم الله . والحمد لله . وبعد : فإن من نعم الله علينا أن جعل لنا سلفاً هداةً مهتدين ؛ لنهتدى بهداهم ، ونقتفى آثار خطاهم ، ونستضىء بها فى ظلم الليل الحالك ، فنجتنب الوقوع فى المهالك . فهى قبس من نور ، يلمع ويضىء كلما اختلطت علينا الأمور . فإذا مفاتن هذا الزّمان قد جرفتنا ، وانحرفنا عن الطريق القويم أو كدنا ، تذكرّنا تلك السّير ، فكانت هى المواعظ والعبر ، والرّادع والمزدجر ﴿ **أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده** ﴾ ونحن مع ذلك نرجو أن يحفظنا الله بصلاحهم كما حفظ كنز اليتيمين لصلاح أبيهما[١] وأن يشملنا بآية ﴿ **والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء** ﴾ . وإن هذا الكتاب (**تعريف الخلف بسيرة السلف**) إنما يستهدف ذلك كلّه ، كما يشرح ما استجدّ على حياتنا من عادات وتقاليد ، أصبحت فيها حاكمة ولازمة ، ويحذّر منها ويحث على الابتعاد عنها ، ويصوّر لنا عواقبها الوخيمة ، ويوازن بينها وبين العادات الحسنة القديمة ، بعقلٍ حكيم ، ولسانٍ قويم . فالحبيب محسن بن علوى بن سقاف قد أحاط بالنّاس خبراً ، وعرف الحياة سراً وجهراً ، وهو قد حرص أيضاً على إثبات بعضٍ من

---

(١) إشارةً إلى الآية ﴿ **وأمّا الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربّك أن يبلغا أشدّهما ويستخرجا كنزهما رحمةً من ربك** ﴾ . سورة الكهف آية : ٨٢ .

مكاتبات ووصايا كبار السلف وأعلامهم ، إلى محبيهم وأتباعهم . والمكاتبات والوصايا ضرب من ضروب التذكير ، ونوع من أنواع التبصير ، وقد التزمها الكثير من السلف ، وأوصى بها الجم الغفير من الخلف .

ونحن هنا إنما نعرّف بالكتاب ، أما التعريف بمؤلفه فإننا نكتفى فيه بإثبات ما كتبه عنه حفيده الحبيب ، علوى بن عبد الله بن حسين السقاف فى كتابه (**التلخيص الشافى ، من تاريخ آل طه بن عمر الصافى**) والله ولى التوفيق .

محسن بن علوى بن عبد الله السقاف
جدة فى ١٦/٨/١٤٠٨ هـ

التعريف بالمؤلف

(محسن بن علوى بن سقاف بن محمد السقاف)

نقول أن الذى اشتهر بالسعة فى العلم ، وتفنن فيه مع دقة فى الفهم ، وحصافة فى الرأى والعقل ، وتحمل لأعباء أمر البلاد الاجتماعية والسياسية ، والقيام ضد كل من يريد فساداً فى البلاد ، أو إلحاق ضرر بأهلها أيًّا كانت مرتبته . سيدنا الجامع الكامل ، لجميع الفضائل ، من أجمع أهل زمانه على تقدمه ، الإمام شيخ وادى الأحقاف ، محسن بن علوى بن سقاف الصافى ، قال فيه وفى إخوانه أولاد الحبيب علوى الشيخ عبد الله بن سعد بن سمير : وكلهم سلكوا مسلك أهل الصلاح والفلاح ، من الإقبال على طلب العلم الشريف ، وإتباعه بالعمل لمرضاة الرب عزَّ وجلّ . وورثه نفع الله به ، سيدنا الحبر محسن علماً ومعرفة ، وذكاء وفطنة ، وتصدرا مع التكفل بزعامة إخوانه ، إلى آخر كلامه . وقال فيه علامة الزمان ، الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان ، نزيل الخريبة بدوعن فى صدر إجازة منه له ، قال : وقد قدر الله الاجتماع ، فى مظان أوقات الانتفاع ، لسيدى الشريف ، صدر المحافل النفيسة ، وبدر الجحافل الرئيسة ، الواقف فى منصة إحياء رسوم العلم وحقائقه ، الغائص فى لجة مشكلاته ودقائقه ، عين الأعيان ، وخطة الصلاح والأمان ، الحبيب محسن بن العارف بالله الحبيب الإمام علوى بن الشيخ الجامع

الحبيب العلامة سقاف بن محمد السقاف باعلوى ، نفع الله بهم .
وقال الحبيب عيدروس بن عمر الحبشى فى ترجمته فى عقد اليواقيت : الإمام النحرير ، ذو التحقيق والتحرير ، المأذون له فى التعبير ، المنوه بشأنه ذو الفضل الشهير ، المعترف له بالتقدم كرام الناس من صغير وكبير ، بقية السلف الصالح بوادى الأحقاف ، محسن بن علوى السقاف . وأفرده بالترجمة ابنه العلامة عبد الله بن محسن ، بترجمة حافلة ، جامعة شاملة ، صادرة عن مشاهدة وعيان ، وتقع فى ثمانين صفحة بخط اليد ، فقد أسهب فى ذكر ماله من وصايا ومكاتبات لبعض تلاميذه وأقرانه .

وترجم له السيد عبد الله بن محمد بن حامد فى كتابه (**تاريخ الشعراء الحضرميين**)وأورد كثيراً من شعره . وقال فيه شيخه الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر : أود أن يكون لأهل البيت رئيس ونقيب وأب ، وأحب أن يكون محسن بن علوى . وقال الحبيب حسن بن صالح البحر: محسن بن علوى غلام الساعتين ، ولا يعدل به أحد لا من حيث الظاهر ولا من حيث الباطن ، وقال فيه الحبيب أحمد بن حسن العطاس: إنه فرس ميدان يصلح لكل شيء ، إن بغيته يركض أو يمشى . وذكره ابنه العلامة عبد الله بن محسن فى وصيته الكبرى لشيخنا العلامة محمد بن محمد باكثير فقال : ثم خلف أولئك السادة ، المتابع لهم فى العادة والعبادة ، منهل الواردين ، وكعبة القاصدين ، محسن الأقوال والأفعال ، الذى خضعت له أعناق الرجال ، وحطت بساحته الأثقال ، وعمّت دعوته السهل والجبال ،

ابن سيدنا حميد الخلال ، علوى بن سقاف .

ويكفى فى خصوصية ومنحة سيدنا أنه قال فى بعض الأيام : الحمد لله ، أكرمنى ربى أنى أعرف من خلفى كما أعرف من أمامى ، ولقد كان سيدنا محلاً للتجليات ، وظرفاً رحباً للعلوم اللدنيات ، فكان فى آخر عمره لا ينام ، بل يبيت مناجياً للملك العلام ، يسمع نداءه حين يقول : هل من تائب ؟ هل من سائل ؟ فى كل سحر . فيجيب سيدنا على حسب ما دعاه إليه وله أهل . فقد أسمعه بعض الليالى بصوت رقيق يقول : يا رب أنا الفقير فاغننى ، أنا الضرير فاشفنى ، أنا الذليل فأعزنى ، أنا الكسير فاجبرنى ، أنا الوحيد فاشفنى ، أنا الخائف فأمِّنِّى . وعلى مثل هذا كله ليله يمضى . أ هـ .

(**قلت**) وفى تحدثه بنعمة الله وإكرامه له بمعرفة من خلفه كما من أمامه مشابهة لما أكرم الله به والده حيث قال : أعطانى الله علم الخضر ؛ فقد أكرم الله الجد محسن بشىء مما خص به جده الأعظم ، وأكرم الجد علوى بما أكرم به الخضر من علم الحقيقة ، رضى الله عن الجميع . والناقلون لهذه المناقب هم من العدالة والثقة بالمحل الأعلى ، لا يشُكّ ولا يختلف فى ذلك أحد . وهم من الملازمين لهم صباحاً ومساء . ومما يذكر عن الجد محسن أنه عندما يمر أحد أصحابه أمام بيته فى الظلام ليلاً يناديه باسمه من جوف الدار يقول له : من أين جئت ؟ ووقع لكثير ممن عاصرناهم وأخبروا بذلك . وهو دليل على صحة ما تقدم . وذكره فى (**شجرة الأنساب**) الحبيب عبد الرحمن ،

المشهور ، فقال : كان إمام أهل زمانه ، والفائق على أقرانه ، علماً وعملاً ، وذكاء وخشية ، وحسن خلق ، لطيف المحاضرة ، وإماماً يقتدى به ، وعلماً يهتدى به ، وكان آية فى الاستدراك ، وله لسان فى الوعظ والتذكير مقبول ، وله ذوق فى تفسير القرآن يفوق على المفسرين ، ومحبة فى تلاوته والتذكير به ، لا يترك ذلك ، وله فيه صوت حسن يشجى السامعين ، وكان محبوباً عند الخاص والعام ، لا يشبع من مجالسته ومحادثته أحد ، أجمع أهل عصره على تقدمه فى الأمور ، وكان يحب المساكين ، ويجبر كسرهم ، رقيق القلب ، غزير الدمع ، إلى آخر ما وصفه به رحمه الله .

(قلت) ثم اطلعت على مكاتبة منه للسيد على بن حسن الحداد ، قال فى تلك المكاتبة ـ يعنى نفسه ـ وكفى كفى عند من ذاق طعم الإيمان والإيقان ، ورتع فى حظاير الإحسان .. إلخ .

وبلغ من رحمته بعباد الله أنه لا يخرج غالباً من داره إلا ويصحب معه بعض الحلويات مما يفرح به الأطفال ، فتراهم ينتظرون خروجه أمام داره ليعطيهم منه ، والغرض من ذلك بعد تفريحهم هو التعرف منهم عن حاجة أهلهم إلى الغذاء بسؤالهم عنه ، ليسعى لهم عند الأغنياء من أهل الخير ؛ ليسارعوا إلى سد حاجتهم .

وبمناسبة ما أكرمه الله فى رؤية من وراءه اطلعت على كلام مفيد للعلامة بن عبيد اللاه فى رؤية النبى لمن خلفه فى كتابه (**بلابل**

التغويد) فلينظره هناك من يطلبه .

وقد ولد الجد محسن فى سنة ١٢١١ هـ ، أدرك أربع سنين من عمر عمه عمر بن سقاف ، وتربى على أبيه وبقية أعمامه ، ونشأ على طلب العلم الشريف ، ونبغ فيه قبل سن التكليف . وألقت إليه البلاد زمامها ، ومات أبوه وهو لم يستكمل الرابعة والعشرين من عمره ، فتعين عليه القضاء ، وأكلفوه على تحمل أعبائه وأعباء البلاد كلها ، ومن جملة من أشار به وأكلفه إياه ، شيخه القطب حسن بن صالح البحر ، وبقية عمومته وقرابته ، فقبله على مضض ، وقد استغاث بآبائه فى قصيدة قال فيها :

يا بنى سقاف هيا غارة ... فلقد عض على الزمن
ورمانى بالجفا من أهله ... كل غمر ذى اعتداء لسن
أكرهونى حمل أعباء القضا ... وقلبي لعيٌّ لكن
فادركونى يا أهيلى سرعة ... غارة منكم تقر الأعين
أنتم ذخرى وأنتم عدتى ... وملاذى والوقا والحصن
فبكم أدعو وأهتف باسمكم ... بعد أن يدعى الكريم المحسن

ولما ضاق ذرعاً به ، ورأى بعض الأهلية فيمن يمكن أن يخلفه ، شكا إلى الحبيب حسن بن صالح ، فقال له الحبيب حسن : أما وأنت فى البلد ما يقبلون لك عذر ، والرأى أن تغيب عن البلد إلى أن يتولاه غيرك ، فسافر إلى الشحر لهذا الغرض ، ولقضاء دين لحقه نحو

ثلاثمائة ريال ، فزار الشيخ فضل صاحب الشحر بنية أن الله يقضيها عنه ، فعندما قام من قُبّة الشيخ فضل إذا بكيس مطروح فى يده ، ففكه فإذا فيه ثلاثمائة ريال قدر الدين الذى عليه ، فحصلت الكرامة وقبول الزيارة ، ولم يخرج من الشحر إلا وقد أسندوا القضاء إلى غيره . قال ابن عبيد اللاه وأظنه الشيخ عبد الله بن أحمد بن محمد باكثير لأنه تولى قضاء سيؤن ثم بعد رجوعه أسندت إليه زعامة البلاد ، والسهر على مصالحها ومصالح أهلها ، وشارك فى السياسة مشاركة فعالة ، قام وقعد بثورة منتصرة ، بزحزحة المسؤولين من يافع فى سيؤن المقيمين بها ، والمتسلطين فى ذلك الوقت ، ولا أقصد قبيلة يافع كلها ، ففيهم العلماء والصلحاء ، وأهل العدل ، ولو لم يكن منهم إلا العلامة عبد الله بن أسعد الذى يقول فيه القائل :

إن كان يا يافع عار عليك بذا فابن أسعد فخر تفخرين به

لكفاهم شرفاً ، فكيف وقد برز منهم كثير من العلماء والمفتين ، إلى يومنا هذا ، وكثير منهم ممن عاصرناهم وزاملناهم فى الطلب ، وكان قيامه بالثورة لأمور لا يرضاها أهل البلاد ... إلخ . من الانحراف عما كانوا عليه من إقامة العدل بين الناس . وكتب إلى الحبيب أحمد بن محمد المحضار يشكوهم بقصيدة طويلة أولها :

من رسولى إلى دوعن بنظمى والإنشاد

من رسولى إلى المحضار يا نعم من ساد

وأجابه المحضار بمثلها يقول فيها :

شفت طه النبى مقبل على روس الأشهاد
يقصد الأرض لى فيها عياله والأحفاد

ومما شكاه الجد محسن أنهم تهددوهم بالحبس والقيود للرجال ، وهتك أعراض النساء ، قال المحضار فى جوابه للجد محسن :

ما نبا الشمس تشرق فوقهن كيف لأوغاد

وقال الجد محسن معرضاً بذكر القيود :

شهدوا الأعيان قالوا لنا معهم أقياد
شىء لمحسن وشىء باسم العقيل الذى ساد

والمراد بالعقيل هو السيد العلامة عقيل بن عبد الله بن عمر بن يحيى ، والقصيدتان طويلتان جداً لا تحتمل هذه الرسالة نظمها ، ومع ذلك لم يقع اتفاق فى الحياة بين الجد محسن والحبيب أحمد المحضار ، بل بالمكاتبة فقط . وما زال بهم حتى خرجوا مكرهين ، واستبدلوا بهم دولة آل عبد الله كنائبين عنهم ، فيما يمكنهم القيام به طائعين لأوامرهم ، ممتثلين لنصائحهم ، طبقة بعد طبقة ، إلى الطبقة الخامسة التى وقعت الثورة فى الجنوب فى أيامها فى رجب سنة ١٣٨٧ هـ موافق ٢ أكتوبر سنة ١٩٦٧ م .

وقد سبقت ثورة الجد محسن مكاتبات وإلحاح شديد منه ومن زملائه للسلطان غالب بن محسن بن أحمد الكثيرى ، فى أن يخرج من الهند ويقوم بسياسة البلاد تبعاً لما كان عليه سلفه من آل عبد الله من أيام السلطان بدر بن عبد الله أبو طويرق ، وبعد ذلك رضى السلطان غالب بن محسن وأجابهم وطلب منهم مساعدة أخيه عبد الله ، وأبناء عمه عبود بن سالم وعبد الله بن صالح فى التمهيد لتلك العودة ، فمهدوا لها ، وكان مستشارهم الأوحد الجد محسن مع زملائه من السادة آل بن يحيى وآل سيؤن من أشراف ومشايخ . وقدر الله نجاح مسعاهم فى قصة طويلة أفردها المؤرخون الثقاة مثل ابن حميد بالتفصيل ، وخبط فيها الأخ صلاح البكرى لأنها كانت ضد قومه فلا يغتر بكلامه ، فقد تغلبت عليه العاطفة لقومه ، فنسى التاريخ الذى سيحاسبه على كل شاذة وفاذة ، سامحه الله . ويقال أنه لما زار حضرموت ندم على بعض ما كتبه ، لكنه لم يصرح بالرجوع عنه ، وانظر تعقبه ممن يكتب للحقيقة والتاريخ لا للعاطفة والمبادىء ، مثل العلامة عبد اللاه بن حسن بلفقيه . والعلامة صالح بن على الحامد وغيرهم ، يتبين لك كذب الأخ صلاح البكرى .

ثم وصل السلطان غالب ، ولا يرى له ناصحاً ولا يثق فى غير الجد محسن ، وعادت الدولة إلى آل عبد الله بعد أن انتزعها منهم قبائل يافع ممن أتى بهم بعض أولاد الدولة السابقة كجند عندهم ، ولقد لقى الجد محسن من الأذية الشديدة من يافع المقيمين بسيؤن بعد ما سمعوا أنه يسعى فى طردهم ، فقد سجنوه ، وتهددوه بالقتل

والتمثيل هو وبعض أصحابه ، مثل الشيخ عمر بن عبد الرحمن فقيه بافضل ، بل خرجوا بمن استعانوا بهم مهاجمين ومعهم القيود المرسومة لكل منهم باسمه ، فلم يبال ولم يكترث حتى نصره الله عليهم . وقد أنشأ القصائد الطويلة العريضة فى ذمهم وشرح أعمالهم التى لا يرضاها الله ، وقصائد أخرى فى حث السلطان غالب على قطع دابرهم ودابر كل ظالم غيرهم ولو من عشيرته وقبيلته ، وعلى التمسك بأذيال أهل البيت الطاهر وإلقاء القيادة لهم ، وما زال على هذا الحال فى مناصرة دولة آل عبد الله إلى أن مات ، وقد يبيت الليالى العديدة ساهراً إلى الفجر ينتظر البشارة بالنصر فى بعض الوقائع ، كوقعة المحائل التى جمع لها يافع ومن عضدهم جميع قواهم البشرية والعسكرية والمادية ، فكبَّر عندما جاء الخبر بالنصر . ويروى الثقة أن الحبيب أحمد بن محمد المحضار هجعت عينه بعد صلاة الصبح فرأى النبى ﷺ جاء ليدرك أبناءه ، وأخبر الجالسين عنده ، وقال لهم أن آل كثير انتصروا الآن لأننى رأيت النبى والخلفاء منتصرين لهم ، وقد أشار إلى هذا فى قصيدة بالبيت السابق (**شفت طه النبى مقبل إلخ**) ، ومرة أمر الجد محسن ولده أن يأخذ النساء إلى خارج البلد لما بلغه أن يافع تجمعوا للهجوم عليهم ، فاعترضهم بعض يافع الذين يظهرون الصداقة له ، وأنهم ناقمون على جماعتهم ، حقداً منهم ومبالغة فى أذية الجد محسن ، وهم آل محمد سعيد الساكنين فى حصن قيطع ، فتحقق الجد محسن أنه لا خير فى هؤلاء ألبتة . وقد يبلغ الأمر فى نصرة دولة آل عبد الله وعودتها أنه شارك فى بعض الغزوات بالفعل ،

فعندما سمع بما يعانيه أهل الشحر من الظلم حرض الدولة على إنقاذهم ، وسار مع الجند إلى الشحر فى قضية طويلة باءت بالفشل بسبب خيانة بعض من معه من الجند ، ورجع سالماً منها ، رغم انكسار من معه من آل كثير ، وأظن أن العلامة بن عبيد اللاه تعرض لذكرها تفصيلاً فى كتابه(**بضائع التابوت**)لكنى لم أظفر بالكتاب هذا ، فليطلبه من أراد الزيادة . والغريب أن بعض أغبياء فتيان هذه الدولة عندما يذكر لبعض الأجانب تاريخها يتجاوز عن ذكر الحبيب محسن وما قام به ، واقتفاه أولاده وأحفاده إلى اليوم ، غمطاً وتحاملاً ، ولما توفى السلطان غالب بن محسن فى سنة ١٢٨٧ هـ استشرف لها بعض إخوانه وبنى عمه ، ولكون الحبيب محسن هو الوحيد فى البلاد فى تولية الأكفاء لها ، ورأى من المرشحين الذين بات مناصروهم طوال الليل يمدحونهم ويرشّحونهم عند الحبيب محسن ، ولكنه فى قرارة نفسه لا يرضى أحداً منهم لأنه قد رأى من بعضهم مالا يحبه للبلاد ، فأخذ يقول لهم : لا بأس خلوا نحن ندفن غالب ويختار الله لعباده من يخلفه ، فبينما هم أمام الجنازة اجتمعوا للصلاة على السلطان غالب ؛ فإذا بالحبيب محسن يسأل عن المنصور بن غالب ، ويقول : عسى ولد غالب ما به شيء ، فجاءوا به إليه ، وأخذ يقول له : عسى با تقع مثل والدك . وهو عندما بلغ السادسة عشرة من عمره وهو يقول له : إن شاء الله إن شاء الله ، فلم يشعروا إلا وقد وضع الكوفية الحبيب محسن على رأس المنصور على عادة السابقين وولّاه خليفة بعد والده ، وقال للدلال كما هى العادة :

ناد بأن ما فى وجه غالب صار إلى وجه منصور ولده ، وعندها انقطع كل لسان ، كما قال القائل : قطعت جهيزة قول كل خطيب ، وربما يقول قائل : كيف استبد الجد محسن بهذا العقد وفى البلد غيره ؟ والجواب عنه أن صفة الحل والعقد والخبرة السياسية فى ذلك الحين فى سيؤن انحصرت فى الحبيب محسن ، وهذه الصفات يعرفها فيه جميع أهل سيؤن ، بل آل حضرموت بأجمعهم ، ولا يغير عليه نكران الجميل من بعض الحاقدين لما سأله بعض الأجانب عن تاريخ الدولة هذه فأعرض عن ذكر الحبيب محسن وأعقابه وما عملوه فى تأييدها . ومع ما ذكرناه من مزاولته للأمور الاجتماعية والسياسية فقد كانت أمور قومه الخاصة وأمور مسجدهم المشهور لا تمر إلا عليه ، فهو الذى يولى إمام المسجد ويبدله بغيره ، ويقوم بأكثر المدارس الفقهية والصوفية ، حتى الروحة آخر النهار يجلس لها ، وقد يجلس لها وداره خالية من الطعام لقوت أهله ، فلم يمنعه ذلك ، فيأتى الخادم يشير إليه من تحت المسجد بأنه ليس فى الدار عشاء مع أنه له بيتان يشتملان على أكثر من ستين نفراً ، فيخرج خاتمه ويقول له : أعطه فلاناً تاجراً من آل جواس يعطيكم عشاء الليلة ، وقد يؤذن الظهر وهو وعياله على قراءة وبحث علمى والغداء غير موجود فيأتيه من حيث لا يحتسب ؛ لقوة ثقته بالله واعتماده عليه رضى الله عنه وأرضاه .

وكان مع ذلك لا يترك السبب فى طلب المعاش ، فعنده زراعة ونخيل وصباغة ، ولكن لا يكفيه لكثرة عوائله . وزار مرة الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر ، فلما انتهوا من الغداء سار الحبيب

عبد الله إلى منزله الخاص للقيلولة ، وقال لهم : ارقدوا . فلما خرج مر عليهم وكانت عندة حرفة صباغة ودفة يدفون الملاحف بها ، فقال الحبيب عبد الله للحبيب محسن : غير ما شوشت عليكم الدفة ، فقال الحبيب محسن : صوت الدفة ولا التشوّف للوجوه الصّلفة . وقد كف بصره آخر عمره نحواً من عشر سنين فلم يؤخر عن عزيمته شيئاً ، ولما أرادوا أن يعالجوا عيونه بالنقش المعروف لإخراج الماء النازل فى إحداهما . قال: لماذا عادنا باشوف من ؟ هل عاد أحمد بن عمر بن سميط ، أو حسن بن صالح البحر وعبد الله بن حسين ثم أنشد :

لك الحمد أما ما نحب فلا نرى ونسمع مالا نشتهى فلك الحمد

وقد ترجمه ابنه عبد الله بترجمة لطيفة ولاشتغاله بأمورهم الخاصة وأمور الناس مات قبل أن يكملها . وطلبت من بغض الإخوان ماكتبه ابن عبيد اللاه فى تاريخه عن الحبيب محسن ؛ لأنه سيكون أوفى بالمراد ، وأروى لكل صاد ، لكن مع الأسف لم يسعفنى بذلك ، وما أذكره الآن هو بعض ما سمعته من والدى مما علق بحفظى ، ومما كتبه الحبيب عبد الله بن محسن ، وإلا فترجمته وسيرته وتاريخ حياته لا تسعه المجلدات ، فضلاً عن الوريقات ، ولكن مالا يدرك كله لا يترك جله ، وقد أخذ الحبيب محسن عن مشايخ كثير من غير والده وعمومته ذكر بعضهم فى قصيدته التى أولها :

لعب الصبا بمعاطف الأغصان ... إلخ .

فذكر منه الحبيب على بن عمر بن سقاف ، والحبيب أحمد بن عمر بن سميط ، والحسن بن صالح البحر وعبد الله بن حسين بن طاهر ، وعبد الله بن عمر بن يحيى ، وعبد الله بن حسين بلفقيه ، وعبد الله بن على بن شهاب الدين ، وعبد الله بن أحمد باسودان ، وعبد الله بن سعد بن سمير ، وكانوا جميعاً مغتبطين به ويثنون عليه ويعظمونه . وقد أطلقوا العنان فى مدحه والثناء عليه ، وأنه وحيد دهره ، وفريد عصره ، وقد مدحه كثير من أقرانه وتلاميذه بمدائح متعددة ، وفى مقدمتهم سيدنا العارف بالله على بن محمد الحبشى ، وقريع الفهم والذكاء شاعر العصر السيد أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب ، والشيخ عبد الله بن سعد بن سمير ، وابن أخيه السيد شيخ بن أحمد بن علوى بن سقاف ، وغيرهم من علماء وشعراء بلده وغيرهما .

وروى لنا آباؤنا أنه وقعت قضية بين السادة آل الفقيه وآل عيدروس بن عبد الرحمن وبنى عمهم آل الحسين فأفتى فيها الحبيب عبد الله بن حسين بلفقيه بما ظهر له من كلام التحفة ، ثم عرض الجانب الآخر الفتوى على الحبيب محسن فأفتى بخلافه وأسنده إلى التحفة ، وكتب إليه الحبيب عبد الله يسأله عن موضعها ، وكثرت المكاتبات حتى سار الحبيب محسن إلى تريم وزار الحبيب عبد الله ، وأول ما سأله عنها فقال له الحبيب محسن : هاتوا التحفة ، فأطلعه على ما ذكره ابن حجر آخر الباب ، وكان الحبيب عبد الله تمسك بما ذكره أول الباب ، فلم يكن من الحبيب عبد الله إلا أن قام وقبض

رأس الحبيب محسن وقبله وقال له : الحق ما قلته ، وقد رجعت عن كلامى والحق أحق أن يتبع . وقد عده الحبيب محسن من مشايخه ، وقال فيه من قصيدة ذكر فيها مشايخه :

وابن الفقيه ونعم من حبر فقيه   من ساد علماً سائر الأقران

ومن صدر مكاتبة من السيدين الحبيبين صالح بن عبد الله وأبى بكر بن عبد الله آل العطاس قالوا : ونهدى من السلام أكمله ، ومن الدعاء أشمله ، وأفضله ومستقبله ، إلى حضرة مولانا وسيدنا الخليفة الكامل والعارف بالله السيد المحسن ، إلى فقرائه بقوت القلوب والأرواح ، والمسرات والأفراح ، محسن بن علوى السقاف ، إلخ . وكانت له زيارات إلى تريم مرات فى كل سنة خاصة وعامة ، وفى كل مرة يزور تريم أيام حياة شيخه عبد الله بن حسين بن طاهر يمر بالمسيلة موطن الحبيب عبد الله بن حسين ذهاباً وإياباً ، فمرة وصل إليه فسأله : إلى أين ؟ قال : إلى تريم ؛ لزيارة السلف الأحياء والأموات . فقال له : أهل تريم ما هم محتاجون لكم ، وإنما بعض إخوانك من آل باعلوى فى غير تريم محتاجون لوصولك إليهم ، ولا نرى أن أحداً غيرك يحبون كلامه . وقال : سنمر إلى تريم ثم إليهم . قال : المقصود أن تمشى بالطريق إليهم رأساً ، وكان لا يخالف له أمراً ، فمشى فعلاً ، وجلس عندهم نصف شهر أو أكثر ، يتألف إخوانه وأولادهم المذكورين من آل باعلوى ، فأخذ يذكر ويطربون له ، ثم يأتى فى آخر المجلس بحكاية من أعمال أهلهم ، وكان كثير

منهم من يجهلها ، ثم لم يمض أسبوع إلا وقد طلبوا من الحبيب محسن أن يجعل الروحة وسائر المجالس فى ذكر السلف وآثارهم وأخبارهم ، ثم رجع إلى المسيلة ، وفرح منه الحبيب عبد الله فرحاً عظيماً .

وكان الحبيب محسن يعقد زيارة عامة فى آخر كل جمعة من محرم الحرام عاشوراء لأهل تريم ، فيحضر الناس من جميع النواحى ويحضرها أهل تريم ، وفى مرة من المرات تأخر الحبيب عيدروس بن محمد العيدروس عن الخروج إلى الزيارة فسأل الحبيب محسن عنه : هل هو مريض ؟ قالوا : لا . ففطن لها الحبيب محسن وسار إليه وحده بعد الزيارة واختلى به وسأله عن سبب تأخره ، فقال : إن بغيت نحن نخبرك بالصدق ، فالزيارة معاد لها حاجة ، لأنك تريد نفع أهل تريم ولكنهم تكلفوا كثيراً بكثرة الواردين ، لا سيما الشَّرحَ من آل تميم ، أى الحرس حق النخل يجلسون عند صاحب المال أياماً متعللين بحضور الزيارة . فلم يكن من الحبيب محسن إلا أن شكره وفرح منه وأثنى عليه ، وخرج من عنده ولم يخبر أحداً ما عدا أنه دعا بدلال تريم فقال له : بكرة بعد المولد فى التربة ناد فى الناس بأن الزيارة المعتادة باتقف ، ومن أحب أن يزور الفقيه فلا مانع له ، وانتهت بكل سهولة وبغير ضوضاء ولا شكوى ولا ظنون . مع أن أكثر الناس يتأهبون لحضورها من أماكن بعيدة ، وكان يقوم فيها مذكراً ومرغباً حتى لصغار الطلبة ، فمرة استند فى وعظه إلى قول الإمام الحداد :

فى آية الأنفال والرعد مع النحل لما غيروها غيرت .

قال : يا أولاد ، أما آية الأنفال والرعد فقد عرفناهما . وما هي آية النحل ؟ فانتدب له العلامة السيد أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب وقال له : لعلها ﴿ **وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة** ﴾ ، إلى آخرها ، فقال : من هذا ؟ قالوا له : ولد عبد الرحمن بن شهاب ، وكان شاباً لم يبلغ العشرين ، فقال له : تعال وقبله بين عينيه أمام الناس ، وقال : هكذا فكونوا . وذكر لى العلامة بن عبيد اللاه أنه سأل السيد أبو بكر هذا من حضر مجلسه ، ومنهم ابن عبيد اللاه عن أحسن قصة ، فبادره ابن عبيد اللاه وهو غض شاب فقال له : شكوى الفراق ، وقال : قال الله ﴿ **نحن نقص عليك أحسن القصص** ﴾ فقبله بين عينيه وقال: إن هذه القبلة دين عندى لجدك محسن . وأخبره بقصته معه .

وللحبيب محسن زيارات خاصة متكررة إلى تريم ، وقد اطَّلعت على رحلة كتبها ابنه عبد الله إلى تريم أخذ معه جميع أبنائه وأكثر قرابته وزار جميع مشاهد تريم وأوليائها سنة ١٢٧٦ هـ .

وأخبرنى الأخ الثقة عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمن عن والده عن الحبيب على بن محمد بن حسين الحبشى قال : إننا عندما نكون فى تلك الزيارة نشعر بأن الضرائح من حولنا تتحرك لما يحصل لنا من الحضور واللذة.أ هـ . وفى تلك الزيارة أنشأ الحبيب محسن قصيدته العظيمة التى أولها :

بشراك بشراك يا القلب المعنى الحزين

التى تهتز من سماعها القلوب. والأرواح من الأحياء والأموات ، ولا يصدق إلا من سمعها . وكان الحبيب محسن إذا أراد الكلام فى الناس فى جامع تريم استأذن زعماءها الحاضرين يوم الجمعة بالمسجد بقوله : دستوركم يا حبايب ، فسمع بذلك بعض الأذكياء من طلبة العلم فأنكر على الحبيب محسن ، وقال له : وهل للدعوة إلى الله استئذان ؟ فلم يجد جواباً ، ولما وصل إلى سيؤن وكان من عادته أن لا يجلس مع أولاده بدون قراءة ، فقال لهم : هاتوا كتاباً . أتوا بالعهود للشعرانى ، فقال : اقرءوا فيه ، فقالوا : من أى موضع ؟ فقال : من الموضع الذى يكون أول ما يظهر من الصفحات ، فقرأ فإذا فيه : أخذ علينا العهد أن لا نعظ حتى نقول بتوجه تام دستــور يا رسول الله ، دستور يا أصحاب الوقت فى النيابة منكم ، إلى آخر صفحة ثلاثمائة وواحد . فقال لأولاده : اكتبوا هذا العهد ، وأرسلوه إلى فلان ليراه ويرى أننا تابعون لا مبتدعون . وذكر الحبيب أحمد بن حسن العطاس فى كلامه المنثور أن الذى قرأ فى العهود هم أناس جاءوا لزيارته وللقراءة عليه ، فصادفت قراءتهم لذلك العهد من غير قصد تأييداً من الله لعلمه واستئذانه ، وفى فتاوى ابن حجر الهيثمى فى باب إحياء الموات كلام مفصل فى هذا المعنى .

وأخبرنى العلامة أحمد بن موسى الحبشى أن الحبيب القطب أحمد بن حسن العطاس لما حج التقى بالسيد العلامة مفتى الحجاز أحمد زينى دحلان فسأله عن الشخصية المرموقة بحضرموت التى يرجع الناس إليه . فقال : هو الحبيب محسن . فسأله عن مفاهيمه ، فقال :

إنه يقول فى قوله تعالى : ﴿ **إن الله مبتليكم بنهر** ﴾ أنه الدنيا ، فطرب السيد أحمد وأخذ يذاكر به فى أيام الحج كلها حتى فى عرفات .

ومن مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس المنثور نقلاً عن الحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس قال : أفاض الحبيب محسن بن علوى فى ذكر السلف وتراجمهم ، فقلنا له : بغيناك تكتب لهم مشرع ، قال : لو تفرغنا نجعل لهم مشاريع ، وكانت له مفاهيم عظيمة وكثيرة ، وكلام على لسان الصوفية وفى علم الحقائق ، وحفظ مآثر السلف الكثيرة التى لم تسطر فى كتاب . ومما كان يرويه الحبيب حسن بن أحمد بن زين بن سميط عن والده أحمد بن زين أن الحبيب محسن زار المكلا وفيها الحبيب على بن عبد الرحمن بن سميط ، فأراد الحبيب محسن أن يزوره فأخبره ابن أخيه أحمد بن زين فقال له : لِمَ لم تقل له أن عمى لا يحب الاختلاط بالناس ، وذلك تورعاً منه لكون الحبيب محسن تولى القضاء ، فقال له السيد أحمد : لا أقدر على مجابهته وهو من هو علماً ومعرفة وذكراً ، فقال له : إذا كان ولا بد فإذا دخل ورحبنا به فاشرع فى القراءة لأننى لا أحب الكلام ، وأسرع بالقهوة . وفعلاً دخل عنده وشرعوا فى المشرع فى ترجمة أحمد بن أبي بكر بلفقيه ، فلما انتهت قال الحبيب على للحبيب محسن : هل عندكم شيء من هذا العلم ؟ فانفجر الحبيب محسن بترجمة أخرى للسيد أحمد بن أبي بكر مثل ما فى المشرع مرات حتى جاء الذى يؤذن لصلاة المغرب ففرح جداً ، وقال : أنا ما ظننته هكذا ، والآن سأحضر مجالسه كلها ما زال فى المكلا ، وهو قاضى

الصوفية كما هو قاضى الأحكام الشرعية .

وكان أهل زمانه يشيرون إلى أنه تولى القطبية ، فقد أخبرنى السيد محمد عبد المولى عن والده عبد القادر بن أحمد بن طاهر أنه جمع فى غيبته مالاً باسم صاحب الوقت ، فلما وصل لم يخبر أحداً ، فلم يشعر إلا وقد أرسل له الحبيب محسن يقول له : هات الوصاة لى معك ، فتنكر له وقال : إيش من وصاه ؟ وكرر عليه مرات حتى قال : الذى جمعته باسم صاحب الوقت . فقال له : لماذا تتستر علينا ؟ أما الآن فقد حصل المقصود وخذه ، وكان أضمر أن لا يعطيه إلا من يكشف عليه ، وقد روى هذه القصة لى من لا أشك فى ثقته وتقواه واستقامته ، الأخ العلامة الورع الحافظ لكتاب الله مع حسن الأداء عطاس بن عبد الله بن علوى الحبشى عن السيد محمد عبد المولى مع اختلاف يسير ، وهو أن السيد عبدالقادر بنأحمد بن طاهر ذهب إلى الحبيب محسن يحكى له ما فعله فسأله عن صاحب الوقت فقال متعجلاً من أن يوقعه الله لشدة حاجته ، قال له : عمك محسن عمك محسن ، وأشار إلى نفسه ، وقال له : أسرع بالدفع .

قلت : ويحتمل أن ذهابه إليه بعد تكرر الطلب من الحبيب محسن عليه بأن يرسل له ما جمعه والله أعلم بالحقيقة . والروايتان متفقتان على أنه صاحب الوقت ، إلى غير ذلك مما يشتمل على تاريخ حياته مما لا نقدر على استقصاء النزر اليسير منه ؛ لأن حياته كلها كانت حافلة بالحوادث والاجتماعيات ، وكان طيلة أيامه لا يزال يدعو الله بأن

يقيّض لهذا الوادى والياً عادلاً يقوم بمصالحه وتأمينه ، وإقامة العدالة فيه ، وديوانه كله مشحون بذلك ، وبالحث على الاقتصاد والقناعة بالموجود خوفاً من تكاثر الهجرة للشباب ، بسبب الترفه والتوسع فى المعاش . ويذكر عنه أنه لا يترك قيام الليل من سن الطفولة ، ويقول إننى لا أعلم هل يثيبنى الله على قيام الليل أم لا ؛ لأننى أقوم له بلذة لا تعادلها أى لذة . ويجلس فى الحزب القرآنى فى المسجد آخر الليل ، وتحضر عنده التفاسير الموجودة ، وأحيانا لا يوافقه كلام المفسرين ، فيأتى بتفسير مناسب للآية من فهمه ، ويقول : هم رجال ونحن رجال ، ويحضر الحزب آخر الليل أكثر من ستين نفراً .

ومما يذكر عنه أنه لما جرى فى مجلسه ذكر الخلاف فى محل العقل من الجسم هل هو الدماغ أو القلب قال أنه متردد بينهما ويستأنس بقول الله تعالى ﴿ **الذى خلق سبع سمٰوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن** ﴾ . قال المراد بالأمر هنا العقل ، وهو متردد بين الدماغ والقلب .

قلت : ومما يرجح أن أى إصابة تصيب أحدهما فالغالب أنها تؤثر بخلل على العقل بخلاف باقى الأعضاء فى الجسم . وقد ذكر الحبيب أحمد بن حسن العطاس فى كلامه المنثور أنه سمع الحبيب محسن يقول أن كثيراً من المفسرين أساءوا الأدب على نبى الله يوسف ، حيث قالوا فى قوله تعالى ﴿ **وهَمَّ بها** ﴾ أنه همّ بعمل ما طلبته منه والحق أن قوله ﴿ **وهم بها** ﴾ جواب مقدم لقوله ﴿ **لولا أن رأى برهان ربه** ﴾ لهم

بها ، ثم رأيت الجمل ذكره فى حاشيته على الجلالين مع أن الجد محسن لم يطلع عليه بل فهمه هو ، لأن فارق السن قليل ، والمسافة بعيدة ، والطباعة غير متميزة ، والجمل نقله عن السمين. أ هـ .

ومن كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس المنثور أيضاً أنه قال رضى الله عنه : سألنى السيد أحمد زينى دحلان عن الحبيب محسن بن علوى السقاف ونحن بمنى وقت الحج فوصفته له ، فقال : هل تحفظون شيئاً من كلامه ؟ فقلت له : نعم ، وله مفاهيم فى تفسير آيات القرآن ، ويقول فى قوله تعالى ﴿ **إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى** ﴾ أنه مثل للدنيا ، فأعجبه هذا الفهم ، وإذا هو يذاكر به كل من أتى إليه ذلك اليوم .

وكانت حاسة السمع عنده قوية جداً بحيث يسمع قرع دبيب أقدام المشاة فى الساحة وهو راقد فى المنزل الذى فوق الساحة ، بل ويعرف صاحب المشى حتى مع تحفظه فى مشيه بحيث لا يكاد يسمعه الماشى نفسه ، كما فى حكاية وصول أحمد جواس من الشحر ليلاً بغير إعلام لأحد ليجربه فحال ما مرَّ فى الساخة قال له : آنست يا أحمد ، لماذا بالمشى هذه الساعة ؟ وهذا من طريق الكشف كما صرح هو به لابنه عبد الله بقوله : أكرمنى الله ، إلخ ما نقله عنه ابنه عبد الله مما تقدم ذكره .

ومن أعماله فى مسجد جده طه أنه هدم القبب الصنوبرية الشكل وسطحها حتى ينتفع الناس بالصلاة فى السطح أيام الحر بالليل ،

وذلك لما رأى مثله فى مسجد جده على بن عبد الله السقاف فأعجبه وتأوه متمنياً أن يكون سطح مسجد طه مثله ، ففهم صديقه عمر دحمى (وهو عمر بن عبد الرحمن بافضل) فقال له : اعزم عليه ولا تهتم بالمصاريف ، وحالاً أمر عمر دحمى بضرب اللبن من بستان له ، وأصلحوا السطح ولم تأت ليلة ٢٧ رمضان ليلة ختم مسجد طه إلا وكان الختم فيه فى مدة لا تتجاوز عشرة أيام . وقد قام بهمة قوية لعمارة وتجديد وزيادة مسجد جامع سيؤن فيسر الله ذلك على يديه ، وهدمه وبناه بناء محكماً ، وهو الموجود الآن ، وكانت العمارة سنة ١٢٨٦ هـ ولا تزال الجمعة يصلونها فيه . وعلى الجملة فهو رجل الساعة ، وممن أحكم أمر دينه ودنياه واشتغل بما يرضى الله مع نفع العباد والبلاد .

قال سيدنا وشيخنا أحمد بن عبد الرحمن بن على بن عمر بن سقاف فى أماليه عند ذكر الحبيب محسن ، قال :

هو سيدنا الإمام الهمام ، الداعى إلى الله بالقول والفعل ، العارف بالله المكاشف ، شيخ مشايخنا وإمامنا ، نقيب السادة العلويين ، وزعيمهم الحبيب الولى المكين ، محسن بن علوى بن سقاف ، وذكر فى مشايخه السادة عبد الرحمن بن حامد عمر المنفر وعمر وعلوى ابنى الحبيب أحمد بن حسن الحداد ، والحبيب طاهر بن حسين وأخيه عبد الله بن حسين ، وأنه عقد الأخوة والعهد مع الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى ، والحبيب محمد بن حسين الحبشى كما ذكره الحبيب عيدروس بن عمر فى العقد ، وشاع صيته فى البلدان ، وانتفع به

القاصى والدان ، وكاتبه الأعيان ، وتولى القضاء بعد حياة والده وَسِنُّه أربع وعشرون سنة ، وقام بنصرة الشريعة ، وأظهر الحق ، وأكبت المعادى ، وأنطقه الله بالحجة والدعوة نيابة عن رسول الله ﷺ وانتفع به كثيرون ، وأئمة عارفون ، مثل الحبيب عيدروس بن عمر الحبشى ، وعلماء بلده أخذوا عنه كثيراً وانتفعوا به انتفاعاً عظيماً ، وكانوا طوع يده ، لا يخالفه منهم مخالف ، وكانت له اليد الطولى فى إصلاح ذات البين والرحمة والشفقة على الضعفاء والمساكين ، وكان كثير المراعاة وافر العقل ثاقب الذهن ، ولم يزل فى قطره شمساً شارقة مشرقة تضىء للناس ، وكان قائماً بنصرة الدولة آل عبد الله وتسديدهم وإقامة أمرهم ، آمراً لهم بالمعروف ، ناهياً لهم عن المنكر ، ذابًّا عنهم ما يضرهم فى دينهم ودنياهم ، وانتفع به الكثير ، وأخذ عنه الجم الغفير ، وترجمه وأطال فى ترجمته الحبيب عيدروس بن عمر الحبشى فى كتابه (**العقد**) ورسالته المسماة (**منحة الفاطر**) وألف ابنه عبد الله فى مناقبه ، وأثنى عليه كثيراً ابنه الحبيب عبد الله بن محسن ، وممن أخذ عنه أولاده الكرام وغيرهم ممن سبق ذكرهم ، منهم الحبيب العارف بالله القطب على بن محمد بن حسين الحبشى ، والحبيب العارف بالله أحمد بن حسن العطاس ، والعلامة عبد الرحمن بن محمد المشهور مفتى تريم ، والعلامة شيخنا العارف بالله علوى بن عبد الرحمن بن علوى بن سقاف ، والحبيب صافى بن شيخ بن طه الصافى ، والعلامة أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين ، وغيرهم ممن يعسر حصرهم . وكان طويل الفكر ، دائم

الذكر ، خصوصاً فى قيامه بالليل ، ومناجاة المولى عز وجل ، وكان له اللسان الناطق فى الوعظ والتذكير ، واستمالة القلوب ، إلى طاعة علام الغيوب ، وتوفى سيدنا محسن عشية الأحد بعد أن توضأ لصلاة العصر لخمس من رمضان المعظم سنة ١٢٩٠ هـ ألف ومائتين وتسعين هجرية . انتهى ما ذكره الوالد أحمد فى أماليه .

قلت : وله مؤلفات ، منها كتاب (**تعريف الخلف بسيرة السلف**) بيّن فيه طريق السلف الحضرميين من العلويين ، وحث الخلف على اعتناق طريقهم ، وعلى الاقتصاد فى نفقاتهم وعدم التشوف إلى من فضّل عليهم فى المال . وذم كثيراً مما يعانيه أهل البلاد من تحكم العوائد الموجبة للغربة والكربة وضياع العمر فيما لا طائل تحته . وله **رسالة نصيحة خاصة بالسلطان غالب بن محسن** يطلبه ، أرسلها له إلى الهند عندما تمهدت له الأمور وأرادوه أن يصل إلى سيؤن ، شرح له فيها كل ما ينبغى أن يعمله بعد وصوله ، وهى تدل على تعمقه فى السياسة ، وتضلعه بها ، وهى طويلة نحوا من عشرين صفحة ، ولا تزال محفوظة لدينا ، ولا تقل عن رسائل ابن العميد ، غير أنها بلغة تتناسب مع قرائها الذين أرسلت إليهم .

وله الأدب الكامل مع كبار إخوانه وإن نقصوا عنه فى العلم . منه ما حكى أن والده أراد أن يزوجه ولم يكن له غرفة فطلب من ابنه سقاف أن ينزل إلى غرفة صغيرة تحته ، فقال الحبيب محسن : إذا كان الزواج باينزل أخى سقاف من غرفته ما أريده حتى أبنى لى غرفة غيرها .

وله **وصايا نافعة ومكاتبات صوفية** على لسان أهل الحقيقة **وسياسية** لأرباب السياسة . وكاتبه رجال الوادى من كل نادٍ ، منهم الحبايب صالح بن عبد الله وبو بكر بن عبد الله آل العطاس ، وقالوا فى بعضها : نعم يا سيدى من باب المباسطة والإدلال ، لعل يتفق لهم مجلس خاص ، لا سيا فيا يذكر فى مجالس الفقه لكل طالب مسترشد ، قاصد مسترفد ، لا سيا فيمن لهم فهم سباق ، وذهن وقاد ، وعقل مستجاد ، من الأولاد مثل فلان وفلان ؛ لأن العلم كبا جواده ، وقل عواده ، بل صار يدعيه من ليس فى العير ،ولا فى النفير ، إلى آخر ما قالاه فى مكاتبتهما مما يدل على أنهما لا يريان غيره يقوم به . وقد أورد المكاتبات منهما حفيده السيد محسن بن عبد الله فى ترجمته ، وأخبرنى الوالد عقيل بن عبد الرحمن أنه لما زار دوعن قال له الحبيب أحمد بن محمد المحضار : قل لعمك محسن انتبهوا من الفقه شفوه قده محتضر يقطرون الماء فى حلقه ، وهكذا ترد الأمور إلى الحبيب محسن رضى الله عنه .

وله **ديوان شعر منظوم** كبير ، تعرض فيه للاجتماعيات ، وحث على طلب الوالى العادل لهذه البلاد ، وله **قصائد حماسية** يهيب فيها بقومه إلى الشجاعة والبسالة فى سبيل إعلاء الدين وطرد المفسدين ، فمنها قصيدة يعتب بعض السلاطين هو (عمر بن عوض القعيطى) فى دعمه ليافع الذين شكا منهم أهل البلد ، وقصيدة فى السلطان غالب بن محسن يحث فيها على إقامة الحق وعدم الركون إلى أهل الظلم والفساد أولها :

غالب غلب من قد غلب ما يتّبع شرع الرسول

ومنها قصيدة أولها :

ألاقـــايم لله يهدى إلى الحسنى

ويقول فى أثنائها :

بنى هاشم أنتم سماء رئاسة قصور المعالى لم تزل بكم تبنى
هلموا ألمّوا بضعة علوية لنيل المعالى كى تنالوا بذا الأمنا

إلى أن قال :

فهل قائم لله تعلوه غيرة ويهدم سور البغى سحقاً له مبنى

وقد أورد فى تاريخ الشعراء الحضرميين كثيراً من شعره رضى الله عنه ، وله أبيات فكاهية يباسط بها بعض أعوانه وأصدقائه ؛ لأنه ليس من المتزمتين الذين لا يألفون ولا يؤلفون ، وبالجملة فديوانه بستان يشتمل على أنواع من الأثمار والفواكه ، يجد المطالع فيه كل ما يروقه ، فيطالعه الصوفى فيتأثر به ، والفقيه فيزيد فى فقهه ، والسياسى المحنك فيقتبس منه ، والمكروب فيفرج كربه ، وهو موجود عند كثير من أحفاده لما يطبع نسأل الله أن يقيض له من يطبعه حتى يعم به النفع . ومع الأسف الشديد فقد طبعت كثير من قصائده مع كتابه (**تعريف الخلف**) لكن المصحح تصرف فى بعض الكلمات التى ظن أنها غير بليغة والواقع أنه شوهها بما ظنه تحسيناً ، سامحه الله .

وما زال على حالته التى وصفناها . إلى أن دعاه داعى المنون فى

مساء الأحد خمس رمضان سنة ١٢٩٠ هـ بعد مرض الفتق الذى لازمه أكثر عمره عن ٧٩ عاماً رحمه الله ونفعنا به ، وحزن الناس عليه فى جميع الأرض ، طولها والعرض ، ولنقتصر على ما ذكرناه لعجزنا عن شرح تاريخ حياته ، بل عن جزء يسير منها ، والمقصود التعريف بشأنه ليقتدى به من بقى من أحفاده وغيرهم ، وكانت له زوجتان إحداهما لؤلؤ بنت خاله حسن بن شيخ الحبشى أنجبت له ستة من الأولاد الذكور ، وهم عبد الله وحسن وبصرى وعلوى وعبيد اللاه وسقاف ، والثانية عائشة بنت عمر بن عبد الله باحفين أنجبت له خمسة أولاد ذكور وبنتاً ، وهم عبد القادر وطه وجديد ومحمد وحسين ، أكبرهم عبد الله وعبد القادر كان وجودهما فى عام واحد وأصغرهم جدى لأبى حسين . أما عبد القادر بن محسن فقد توفى بعد والده بسنة واحدة وخلّف ابنا وهو محمد ، ثم انقطع عقبه .

وكلهم ممن تربى على والدهم وانتفعوا به ، وامتاز بالعلم منهم عبد الله وعبيد الله .

علوى بن عبد الله السقاف

سيؤن ـ حضرموت

مقدمـــة الكتـــاب

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشداً .

الحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ولا ملجأ ولا منجأ من الله إلا إلى الله ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد نبيه ومصطفاه ، القائل لأهل قربه وحبه ومن والاه ، « **عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى ، عضّوا عليها بالنواجذ** » الحديث الذى روته عنه الرواة ، وعلى آله وصحبه ومن تبعه وتولاه ، وسار بسيره واهتدى بهداه .

(**أما بعـــد**) فإنى قد أطفت نظرى ، بعد أن جمعت فكرى ، فى حالى وحال أمثالى ، من أهل هذا الزمان التالى ، وما يغُشانا من تكدر البال ، وضيق الحال ، وما نتجشمه ونتجهمه من الأشغال والأثقال ، وركوب الأخطار والأهوال ، ومفارقة الأهل والعيال ، ففتشت عن سبب هذه الشدائد ، فوجدت أكثره من تحكم الرسوم والعوائد ، التى أدت إلى التقاطع والغرق ، والهرج والخرق ، وصرف الهمة عن طاعة الله ، وما يحبه الله ويرضاه ، وأدت إلى التكاثر والتفاخر والمباهاة ، والدخول فى الحرام والاشتباه ، وغير ذلك مما لا يحبه الله ويرضاه ، فأعظم بذلك من غبـن وخسران ، عند كل ذى

معرفة وإيمان ، أحببت أن أذكّر نفسى ، وسائر الإخوان من أبناء جنسى ، فالمؤمن يتذكر ويخشى ، والله يهدى من يشاء .

قال الله تعالى فى كتابه المبين ﴿**وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين**﴾ وقال أيضاً فى محكم الكتاب ﴿**وما يذكر إلا أولوا الألباب**﴾ .

فلهذا أحببت أن أذكّر نفسي وسائر الإخوان ، بسيرة وطريقة السلف الأعيان ، الدائبين فى طاعة الرحمن ، فى السر والإعلان ، فلعل ولعلّ ، والتوفيق من الله عز وجل .

ذكر العوائد المذمومة ومضارها
والحث على مجانبتها والخلاص منها

(**أما بعــد**) فإن العوائد التى حدثت فى هذا الزمان ، وفشت فى غالب الأماكن والبلدان ، مشئومة مذمومة ، من وجوه معلومة ، منها شغل الإنسان عن عبادة الرحمن ، وما به الفوز غداً فى دار الأمان ، وانصرافه عن العلم والطاعة ، وصده عن الزهادة والقناعة ، ومن المقرر المعلوم ، عند ذوى المعرفة والفهوم ، أن كل ما شغلك عن الله فهو عليك مشئوم ، وأن كل ما زهدك فى الدنيا ورغبك فى الآخرة ، فهو عون من الله على المزايا الفاخرة ..

(**ومنها**) أيضاً الاتجاه إلى التكلف ، المؤدى إلى التعسف والتخلف ، وقد ورد عنه ﷺ « **أنا وخيار أمتى برآء من التكلف** » وفى رواية (وصلحاءُ) بدل (وخيار) فعلم من هذا الخبر ، أن من تكلف ليس من صلحاء ولا من خيار هذه الأمة ، ويا لذاك من سقوط وذم ، عند من يعلم ويفهم .

(**ومنها**) أيضاً تأدية ذلك إلى الخرق ، المؤدى إلى الغرق ، وذلك عكس الرفق الذى يدوم لصاحبه ويزينه ، ويمنعه عما يدنسه ويشينه ،

فــالــرفق يــدوم لصــاحــبــه والخرق يصير إلى الهرج

وفى الخبر أن الرفق ما دخل فى شىء إلا زانه ، ولا خرج عن شىء إلا شانه ..

(**ومنها**) أنها تدعو إلى الاستدانة من أهل الحرام والشبه والباس ، كما أن ذلك مشاهد فى غالب الناس ، فتراهم يستدينون فى تلك العوائد العائدة إلى المغارم ، من المعروفين بالظلم والغشم والمعاملات الفاسدة ، ويشغلون بذلك ذممهم وأموالهم ، ويكدّرون بما هنالك معائشهم وأحوالهم ، ويالها من خلّة وبيَّة ، أوجبت كل بليّة ، تربأ عنها كل نفس أبيّة ، ويسقط بها صاحبها من عين ربّ البرية ، إذ أخذ الحرام والشبَه ومعاملة أهلها قبيحة ، سيما بأهل الخير والصلاح والسير المليحة ،

(**ومنها**) أنها تميل بأهلها إلى المماراة والمباراة والمكابرة ، والترفع بالزيادة على الغير والمفاخرة ، ويتولد من ذلك كسر قلوب الفقراء والمساكين ، ممن لا يقدر على مثل ذلك من الضعفاء والمحتاجين ، وقد جاء فى الأثر : إن كسر قلب المسلم أعظم عند الله من هدم الكعبة ، فأعظم بذلك داهية ونكبة .

(**ومنها**) أنها ألجأت إلى ركوب ركن الأسفار والأخطار ، ومفارقة الأهل والجار ، ومجاورة الفجّار والكفار ، وضياع الأعمار فى الاتِّجار ومعاملة الأغمار والأشرار ، وهذه هى المصيبة الصمّاء والداهية الدهياء ، إذ نفاد العمر فى غير علم وطاعة ، عين الحماقة والإضاعة ، ونهاية الجهل والفظاعة .

قال بعضهم :

إلى كم تماد فى غرور وغفلة وكم هكذا نوم إلى غير يقظة
فيا دُرَّة بين المزابل ألقيت وجوهرة بيعت بأبخس قيمة
أتنفق هذا فى هوى هذه التى أبى الله أن تسوى جناح بعوضة

إلى أن قال :

لقد ضاع عمرٌ ساعةٌ منه تشترى بملء السما والأرض أيّة ضيعة

وحاصله أن ضروب العوائد ومفاسدها لا تعد ، وقبائحها وفوادحها ومشئوماتها لا تحصى ولا تحدّ ، كما يعلم ذلك ويتحققه ، من مارس ذلك وشاهد ، فالفطن الأريب من تنبّه من هذا الخلل والعلل ، ونزع منها مقبلاً على الله عز وجل ، واغتنم فى الطاعة من عمره ما أقبل ، وأصمّ سمعه عمن شتم فى ذلك أو عذل ، من نساء وسِفَل ، وخدم وخول ، فإن العاقل من عقل ، وحينئذ فمن المعلوم المقرر ، عند ذوى الحجا والنظر ، أن القناعة أصل الرضاء عن الله سبحانه وتعالى ، وشعار ودثار أهل الله ، من أصفيائه وأوليائه ، الذين أرضوا مولاهم ، وطلّقوا من أجله دنياهم ،وعملوا لآخراهم، ومهدوا لمثواهم ، فقربهم واصطفاهم ، وكان لهم ومعهم ؛

إن لله عباداً فطناً طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحىّ وطنا

جـعـلـوهـا لجة واتخذوا صـالـح الأعمال فيها سـفـنـا

غيـره

قـوم هـم الـنـاس إن عـدوا وإن ذكـروا
ومـا سواهـم فـلـغـو غير مـعـدود
لـو خـلّـد الـدهـر ذا عـزّ لـعـزّتـه
كـانـوا أحق بـتـعـمير وتخلـيـد

غيـره

أولئك قوم قد هدى الله فاقتده بهم واستقم والزم ولا تتلفّت
ولا تعد عنهم إنهم مطلع الهدى وهـم بلغوا علم الكتاب وسنة
عليهم سلام الله إن كان قد مضوا فـذكرهم باقٍ وقد شاع بالنقل

فالمشفق على نفسه ودينه من سلك سبيلهم ، وانتهج صراطهم وطريقهم ، وعكف على طاعة مولاه ، ودأب فى أخذ ميراثه من العلم الذى ورثه أنبياؤه ، وتوارثه من بعدهم أولياؤه وأصفياؤه ، من السلف الصالح من العصابة العلوية ، والعترة الهاشمية النبوية ، فإن لهم القدح المعَلّى ، من ذلك المقام الرفيع الأعلى ، كما هو المعروف عنهم من سيرهم وأخبارهم ، فى دفاترهم وأسفارهم ، **كالبرقة المشيقة ، والجوهر الشفاف ، والمشرع الروى ، والغرر ، ..**

إن كنت تجهلهم فانظر تراجمهم فكل سفر بأوصاف الكرام ملى
لا سيما مشرع مع شرح عينيـة وبرقة الحَبر مولانا الإمام على

وجوهر لخطيب وكذا غرر فكم حوت درراً جلت عن المثل
فمن مَعينٍ وتسنيم مفجرها كن كارعاً شارباً للنهل والعلل
وشنف السمع من تذكارهم فعسى يهزك الوجد والأشواق للعمل

غيـــره

أولئك الأقوام هم مرادى ومطلبى من جملة العباد
وحبهم قد حل فى فؤادى أهل المعارف والصفا والآداب

أولئك قوم عرفوا حقيقة هذه الدار ، وما بعدها من دار القرار ، فآثروا ما يبقى على ما يفنى من دار الاغترار ، أولئك المتقون الأخيار ، أولئك الصالحون الأبرار ، أولئك القانتون فى الأسحار ، بالخشية والذبول والوقار ، رزقنا الله محبتهم ، ونفعنا ببركتهم ، وجعلنا ممن قال فيهم : (**ألحقنا بهم ذرياتهم**) بمنه وفضله ، إنه أكرم كريم ، وإلا فهيهات هيهات وما نحن فيه وما أعمالنا بالنسبة إلى هؤلاء السادة ؟ ومما نحن فيه وعليه من البطالات والترهات ، وما نلابسه ونعانيه من الخيالات والمحالات ، والقيود والرسوم والعادات ، فيا لذلك من إضاعة وسفاهة ، مما لا يخفى على كل ذى عقل ونباهة ، ومن أجدر منا بالبكا على نفسه ، مما أضاعه فى يومه وأمسه ، لكن يحق لنا أن ننصب المآتم ، على ما مضى منا فى البطالات والجهالات والمظالم ؛

على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له منها نصيب ولا سهم

فالبدار البدار ، الفرار الفرار ، من هذه الهفوات والكبوات التى ضاعت فيها الأوقاتُ والأعمار .

البـدار البدار قبـل الفوات   إنما أنت عــرضـــة الآفــات

كفى من إضاعة وتمادٍ كفى ، وكفى من بطالة وضلالة كفى ، وكفى من تأميل وتسويف كفى ، فما هذا شأن أهل الوفا والصفا ، من ساداتنا وأسلافنا الشرفا .

(**هذا**) ولا نجاة من هذه الورطات والهفوات ، ولا سلامة من تلك الفتن والأهوال والأمور المتعبات ، إلا بالنزوع والتركِ لهذه العادات ، والقيود المقيدات ، وحسمِ موادها التى منها بدت ، وبسببها فى الناس انتشرت وفشت .

● طاعة النساء من أسباب تحكم العوائد :

ومن أقوى أسبابها التى أدت إلى هذا الانبعاث ، طاعةُ النساء ومراعاة الأحداث ، ولا خفاء أن كلاًّ منهم قاصر عن رتبة المشورة والرأى السديد ، كما يعرف ذلك كلٌّ ذى نباهةٍ ومعرفة وتفنيد ، ممن ألقى السمع وهو شهيد ، لا من يَظل نهاره والمساء ، فى طاعة الأوباش والنساء .

شيئـان يعجز ذو الفطانة عنهما   رأى الـنسـا وأمـارة الصبيـان
أمـا النسـاء فميلهـن إلى الهوى   وأخـو الصِّبـا يجرى بـغير عنان

غيـــــره

إذا رأيت أموراً   منهـــا الـــفؤاد تـــفـــتّت
فـــتش عـــليهـــا تجدهـــا   مـن الـــنســـاء تـــأتت

فعار على كل ذى مقام وحشمة ووقار ، أن يرجع فى عادته إلى النساء والصغار ، بل من حقه أن يزن أموره بميزان الشرع والعقل ، والتقيد فى شأنه كلّهِ بسنة رسول الله إذ هى الراس ، والأصل والأساس ، ويقتفى آثار أهل المعرفة والفضل والدين والفطانة ، ويكون على بصيرة من ربه فى جميع أموره ، فى بطونه وظهوره ، هذه أوائل الأمور التى ينبغى التفّطن لها والاحتكام ، لكى يتم بذلك القصد والمرام .

● التحذير من حب الظهور والرسوم :

من الظاهر المعلوم ، أن حب الرسوم ، قد رسخ وتمكن فى النفوس ، حتى كاد أن ينسخ ما فى الطروس ، كما أشار إليه وحذر منه العلماء ، ونبّه على شؤمه وسمومه الكرماء ، من أهل الباطن والظاهر ، كما هو مثبت عنهم فى الدفاتر ، وقد صار القالى لذلك الشان ، والمتباعدُ من ذلك الافتنان ، بغيضاً عند من يتعاطاه ، وثقيلاً على من يفعله ويراه ، كما قيل شعراً :

وللناس عادات وقد ألفوا لها ... سنن يدعونها وفروض
فمن لم يعاشرهم على العرف بينهم ... فذاك ثقيل عندهم وبغيض

وقال الشيخ العارف بالله عمر با مخرمة فى بعض قصائده محذراً من هذه الوصمة :

وأعلم أنّ العوائد فى تعوّادها السّم ... وآخرة كلّ من تابع عوائده يندم

فانظر إلى تشبيه العوائد بالسم ، وكم حذّر غيره منها وكم كم ، لما يرون فى تعوّدها من الندم والذم ، ولا يخفى الطالب المرتاد ، ما جاء فى التحذير عنها من السادة الأمجاد ، فكفانا معاشرة الخلف ، ما جاء فى ذلك من نظم ونثر السلف ، فالسعيد من عرف واعترف ، وحاد عن تلك العوائد وصدف ، والله ولى الهداية والتوفيق ، إلى سلوك طريق أهل الولاية والتحقيق .

رب إن الهدى هـــداك وآيـــا   تك نور تهدى بها من تشـــآء

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضى ولا يقضى عليك ، وإنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، فلك الحمد على ما قضيت ، ولك الشكر على ما أنعمت به علينا وأوليت ، نستغفرك ربنا ونتوب إليك .

وقد حسن إيراد ما ورد عن بعض السادة الأمجاد ، فى التنبيه على حسم هذه المواد ، التى تفعل فى زماننا وتُعتاد ، مع ما هو معلوم ، لدى أرباب الفهوم ، من شؤمها ومفاسدها ، وشرورها ومكائدها .

فمن ذلك ما ذكره سيدنا بركة الزمان ونوره ، وضياء ديجوره ، عبد الله بن الحسين بن طاهر بقوله رضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مقيله ومثواه ، وإيانا آمين رب العالمين .

قال رضى الله عنه فى بعض رسائله : « وعليك بترك العوائد التى

نظمها الناس ، وجعلوا لها شعاراً ومناراً ، وصيّروها معلومة بينهم بالضرورة ، يتكلفون فيها أهل العمائم واللّحاء ، فضلاً عن الأراذل والنساء ، أهلكوا فيها الأموال ، وارتكبوا لأجلها الأهوال ، ودخلوا لأجلها المداخل ، وخبَّط معهم الجاهل والعاقل ، لأجل رضاء امرأة ومسخرة ، وضيعوا فى معاناة هذه العادات الدار الآخرة ، والمنازل العلية الفاخرة ، ألهتهم عن ذكر الله ، وعن الأنس بالله ، وعن نعيم أهل الله فى الدنيا والآخرة ، ولا حازوا رضاء الناس ، فتراهم دائما فى هموم ، تارة من عدم تأتّيها وتيسّرها ، وتارة من الكثافات التى تتولد معها ، فعليك رحمك الله بقطعها بالمرة ، بالكلية ألبتة ، ولا تبال ولا تعوّل بمن عذل أو لام ولا تنتظر مساعدة ولا معاونة من قريب أو بعيد ، بل هم كما قيل : (ما تراهم أعوان إلا على باطل وترك قربة) فرحم الله امرءاً عرف الحق حقاً فاتبعه ، وعرف الباطل باطلاً فاجتنبه . وقال الإمام الجليل الفضيل بن عياض رحمه الله : اتبع طريق الهدى ولا يضرُّك قلة السالكين ، واحذر طريق الردى ، ولا تغتر بكثرة الهالكين .

وعليك رحمك الله بالخمول ، والمحو والقناعة ، والرضاء بما كُتب وقُسم لك ، ولا تتطلع إلى غيره ولا تتشوف إلى سواه فتتعب وتغتم ، ولا يقع لك غير ماكتب لك ، واحذر كل الحذر من الظهور ، وأسباب الظهور ، ومن العوائد والرسوم ، فإنها السموم ، فلا تجعل على نفسك عادة أو شيئاً معلوماً ، أو قانوناً تُعرف به وتبقى عليه من هذه المباحات والعادات ، بل أجْرِ الأشياء على حسب تأتّى

الأسباب ، وانشراح الصدر ، وعدم التكلف ، ولا تشوّشها بالتغيير ، عند كل تقدير ، إذ من الصعب تغييرها من رسوخها عند كل كبير وصغير .

ولنقتصر أولاً من الوصية على هذا ، فإن هذه الأمور إذا عمل بها الإنسان وتنزه عن هذه الأخلاق ، وسدّ هذه الخوخات ، كان بمنزلة من أخذ شَرْبة ، واحتمى عن الأشياء المضرة ، فكل غذاء ينفعه بعد ذلك ، ويكون له طعاماً ولذة ، ويكون أيضا كمن تطهر وتنزه من القاذورات ، فتصح منه الصلاة ، ومن عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم ، واتقوا الله ويعلّمكم الله .

وأما من أهمل هذه الأشياء ، وتخلق بغيرها من الأخلاق الذميمة ، مثل الرياء والعجب ، وأكل الحرام وأذى المسلمين ، فمثاله كمن يكتسب عشرة دراهم ، ويُخرج مائة درهم ، وكمن يحفر ذراعاً ، ويطرح فوقه قامة تراب ، وكمن يأخذ رطل سمن ، ويأخذ قفلة غذاء ، وكمن يطرح فى كفّة ميزان عشرة أرطال ، وفى الأخرى نصف رطل ، وكمن يسير إلى مقصده ساعة ، ويمشى باقى نهاره راجعاً ، ويظن مع هذه الأشياء أنه مصيب ، ورأيه سديد ، وأنه مع ذلك سيظفر بالمطلوب ، فنسأل الله أن يمن بتوبة نصوح ، وأن يتوفانا مسلمين ، فالله يحب إغاثة الملهوف ، وفعل المعروف ، ومكارم الأخلاق ، وإنقاذ الغرقى ، وقد وقعنا فيما وقعنا فيه ، ودعونا ، ولا عاصم لنا مما نحن فيه إلا هو ، يا حىّ يا قيوم بك نستغيث ، أصلح لنا

شأننا كله ، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين» . انتهى كلام سيدنا عبد الله بن حسين بن طاهر .

وله أيضاً مذاكرة ذاكر بها بعض السادة لما وصلوا لزيارته نفع الله به ونقلها الحاضرون إلينا ، ففرحنا بذكره لنا ، فضلاً عن إيصائه ، وهو أنَّه قال : «إن أهل سيؤن وغيرهم انتفعوا بمحسن بن علوى ، وكلامهُ له قبولٍ فى كل مكان ، وعند جميع الناس ، إنما بمراعاة الناس ، والتكلف لهم بأمر المعاش واستغراق وقته معهم ، أنا ما بغيته إلا بقدر الحاجة ، ومن تكلف للناس أتعب نفسه ، وحمل ذمته ، ولم يتجمل معهم ، وربما اعتزل فى بيته حتى يحرمهم الانتفاع به . ومحسن بن علوى غايته يقوم بما فى دائرته ، وثقلته اليوم ما هى مع أحد ، ولا له فى حضرموت مال ولا سبب ، والناس ما عادوا يراعون أحداً ، بل من بسط نفسه لهم معاد رثوا له ، ولا نظروا إلى حاله» . هذا ما تكلم به نقلناه بقصد الفائدة فى عدم التكلف لا لأجل الفخر والمباهاة .

النهى عن طلب المزايا
التى ليست من ضرورة القِوام

وله أيضاً اعلم رحمك الله أنك إذا تأملت حال نفسك ، وكذا حال غيرك ، وجدت أكثر ما يأتيك الهم والغم ، وكثرة الخواطر والشواغل والتعلقات ، والعوائق عن الخيرات ، بل وعن كل راحة ، دنيا وأخرى قلب وقالب ، من أمور ونزهات ، وأشياء مستهجنات ، ليس لها تعلق بالدين ، ولا بالذى عليه يعين ، بل ولا لها تعلق بنفسك ، ولا براحة خاطرك وبدنك ، إنما هى أمور وأشياء تتعلق بمقالات الأسافل ، والنساء والأراذل ، ومن لا خير فيه من غوغاء الناس وعوامهم ، فترى الإنسان من حين يصبح وحين يمسى ، بل يقضى شهوره وسنينه وعمره كله فى أسفار وأخطار ، ويدخل فى شبهات ومحرمات ، ويضيع أنفاسه وساعاته ، ويخاطر بروحه ، ويفوت صفاء وقته فى طلب المزايا ، وزوائد ليست من ضرورة القوام ، بل ولا من متمماته ، وإنما هى أشياء تتعلق بالغير ، ولا يجنى منها مدة حياته إلا كل تعب وكدر وضير ، مع ما فوتته عليه من التفرغ للدين والخير ، ومن الأنس بالله والذهاب إليه والسير ، ومع هذه الأشياء فتراه مالاًّ لهذه العادات ، ومبغضاً لهذه المثقلات ، لما قد جرعته فى الحال من المنغّصات ، وما لحقه بسببها من المقالات والمشوّشات ، فإن رضاء الناس غاية لا تدرك ؛

ولا بد من مثنٍ عليك وشامتٍ وإن كنت مرضيّا قويمَ الطريقة

فإنك إن أرضيت واحداً سخط عليك عشرة ، إن أرضيت عشرة سخط عليك مائة ، وإن أرضيت مائة سخط عليك ألف ، وهكذا ، وإن تركتهم جميعاً وأرضيت ربك كفاك مئونتهم ، واسترحت من معاناتهم ، ومعاناة تلك الأشياء الشاقة المتعسرة ، بل المتعذرة ، مع ما ترجوه من سلامة الآخرة ، من عدم الدخول فى تلك الأمور ، التى لا يسلم الداخل فيها من المحظور ، فانظر بعين قلبك فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور .

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادى
ونارٍ لو نفخت بها أضاءت ولكن ضاع نفخك فى الرماد

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا شر ما قضيت ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

مطالبة أبناء الوجهاء والعلماء بما لآبائهم من المحبة والاحترام مع عدم سلوكهم لطريقتهم

وفى مذاكرة أخرى له اعلم رحمك الله أنه إذا عرف أحد بالعلم والولاية ، والعبادة والصلاح ، والكرم والزهادة ، أحبه الناس واعتقدوه وتوددوا إليه ، وترددوا عليه ، ولجئوا إليه فى دفع ما يقع عليهم ، من الظلم من الأجناد وغيرهم ، فيبذل ذلك الرجل الصالح جاهه ، ويذبّ عنهم بلسانه بحسب نفوذ جاهه ، وقبول كلمته ، ويرى ذلك فرضاً لازماً عليه ، نصرة للشرع وقياماً بحق الإسلام والأخوة ، والصحبة والمودة ، وشكراً لما خوله الله وأنعم به عليه من سعة الجاه ، وقبول الكلمة ، ولا يرى له منّة إذا قبلت كلمته ، ولا يأخذ على ذلك أجراً ، بل يبذل ماله فى ذلك ، ويجتهد فى دفع الظلم عن غيره أشد من الدفع عن نفسه ، فإن قبل كلامه فذاك ، وإلا وكل أمره إلى الله ، ولم يدافع بغير ذلك ، فهذه سيرة الصالحين .

ثم إنه إذا مات ذلك الرجل الصالح ، قام فى مقامه إنسان من أولاده أو من غيرهم ، ولم يسلك سبيل ذلك الرجل الصالح ولا طريقته ، ولا أخذ ما أخذ فيه من العلم والزهادة والعبادة ، وعدم الطمع فى الناس والميل إليهم ، بل ظهرت منه الرغبة فيهم ، والطمع فيما فى أيديهم ، فأخذ الناس فى الفرار منه ، والنفرة عنه ، فجعل

يطالبهم بما كانوا يتوددون به إلى صاحب ذلك المقام الأول ، بالتردد عليه ، كما كانوا يترددون هم وآباؤهم على ذلك الولى ، ويرى فى نفسه أن ذلك حق لازم عليهم ، وأنهم مقصرون فى حقه ، وهذه والله مصيبة وبليّة عظيمة تدل على قلة دين مدعيها وعقله ، وهل يكون جزاءُ إحسانهم وإحسان آبائهم إلى أبيه وجده ، وتردّدُهم وتوددهم إليه لصلاحه وولايته ، سببَ استعبادهم واسترقاقهم وإذلالهم أبدا ما تناسلوا ،فلعمرى ما تصدر هذه الأخلاق إلا من إنسان دنت همته ، وقلت مروءته ، ومال طبعه إلى غوغاء الناس وسفلتهم وأنذالهم ، ولم تنظر نفسه إلى مكارم الأخلاق .

وينبغى لمن جلس فى مجلسه أن تجنح همته إلى خلاله السنية ، وصفاته العلية ، التى أقلها الزهدُ فى الدنيا وجاهاتِها ، والتواضعُ ، وعدم النظر إلى الناس ، جاءوا أو ذهبوا ، والإنصافُ من النفس ، وعدم الإنصاف لها ، إلى غير ذلك من الخصال الحميدة ، والأفعال السديدة .

سارت مشرقة وسرت مغرباً   شتان بين مشرق ومغرب

فينبغى لمن أقيم فى مقام أحد من الصالحين أن يجتهد فى سلوك طريقته ، والتشبه به فى ظاهره وطويته ، ثم يعترف بالخلو عن أذواقه وحقيقته ، ولا يدعى شيئاً من أحواله ومواجيده ، ولا يطلب أحداً بأن يحترمه ويعظمه ، فضلاً عن أن يتردد عليه ، أو يتودد إليه ، ومن أكرمه أو أحسن إليه كافأه بالعطاء ، أو بالدعاء والثناء ، ومن لم يأته

رآى ذلك من النعم التى يجب عليه شكرها ، ورآى له منّةً فضلاً من أن يراه جفاء ، أو يتكدر عليه خاطره ، ومن عاداه أو آذاه أو أذى من يلوذ به وكّلَ أمره إلى الله ، كما كان يفعل من كان قبله ، ولا يأخذ فى مدافعته بالمقاتلة والمعاندة ، لأن هذا يخرجه عن سبيل من هو مدّعى مقامِه ، فتكون أفعاله أول شاهد عليه بالتكذيب ، لأن المعاندةَ والمقابلة بمثل فعل الظالم شأنُ الأجناد والظلمة ، فيدعوه ذلك إلى التشبه بهم ، بل إلى أن يكون منهم ، كما هو مشاهد ومجرب ، فتكلمنا بهذه الكلمات قضاء لبعض حقوق من مضى من الصالحين ، ورجاء أن يقف عليها أحد ممن يحب الناصحين ، فينتفعَ بها فأكون على الخير من الدالين .

اللهم وفقنا لكل خير ، واحفظنا من كل شر وضير ، يا أرحم الراحمين . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

أسباب المحن والفتن
وغيرها من المكدرات

وله أيضاً اعلم رحمك الله أن سبب ما حدث من هذه الفتن والمحن ، والأخواف وغيرها من المكدرات ، عدمُ الاستقامة على ما أمر الله به ، من امتثال أوامره واجتناب نواهيه ، وكثرة الغفلة عن الله ، وعما خلقنا له ، وسببُ زيادتها وتكاثرها ودوامِها عدمُ الانتباه بهذه المذكرات ، وعدم الرجوع إلى الله ، والتوبةِ ، والندم على ما صدر منا ، فما لنا مثال مع هذه المذكرات إلا مثال رجل يسوق دابة ليسلك بها جادة الطريق ، فجمحت عنه فزجرها لترجع فلم ترجع ، فضربها ، فكلما ضربها لترجع زادت نفوراً ، فلم يتركها من الضرب ، ولم تترك ما هى عليه من التآبي والنفار ، وكلما زاد قَوْدَها وردَّها إلى الطريق ، زادت فى النفور وعدم الانقياد ، فهو فى عذاب دائم من المشى فى الجفاء ، والكلال اللازم لمن يمشى فى غير الطريق ، وفى تعذيب بالضرب والوخز والزجر ، وهى مع ذلك مذمومة ومعيوبة عند مالكها وغيره ، وهى أيضاً غيرُ مرحومة مما لاقته من هذه المشاق ، لأنها هى الملقية بنفسها فى ذلك .

مثال آخر لما نحن فيه من هذه البلايا ، وذلك : كرجل ثارت عليه أمراض وأوجاع فى بطنه ، وتنكرت عليه طباعه ، بسبب أشياء

مضرةٍ يأخذها ، فجعل يشكو وجعه لكل من رآه ، فقال له الطبيب إن هذه الأوجاع لا تزول عنك مالم تترك هذه الأشياء المضرة التى تأخذها ، وتحتمى عنها بالكليَّة حتى تطهر بطنك عنها ، ثم تأخذ أشياء أخرى مضادة لهذه الأشياء ، فإنك تصح وتبرأ ، ولا تطمع فى الشفاء وأنت باق على حالتك هذه ، فاستبعد مقالته ، وشق عليه مفارقة ما هو فيه ، وغلبت عليه شهوته ، فلم يفعل شيئاً مما وصف له ، بل بقى يُدخِل بطنه من الذى وجد منه الألم ، ويزيد عليه أمثاله ، ويجتنب ما ينفعه ، والمرض يزيد كل يوم عليه ، وهو يكثر من الأنين والتأوه والشكوى ، ويذم بطنه ويقبحه .

مثال آخر لذلك ، وذلك : كرجل رأى أناساً قبله يزرعون أرضاً ببذور طيبة ، مثل النخل والعنب والبر ، وغير ذلك من الأشجار النافعة ، فأتت لهم بكل ثمرة طيبة ، فجعل يغرس فى تلك الأرض بذوراً خبيثة مضرة ، وظن بحمقه أنه يجنى منها ما اجتناه السابقون ، فأتت له بما لا يخفى من ثمارها كما هى سنة الله سبحانه وتعالى ، فجعل يتعجب من ذلك ويلومها إذ لم تأت بأثمار طيبة ، فقيل له إن هذه البذور لا تثمر إلا ما رأيت ، فإن أردت ثمراً مثل ثمر السابقين فابذر مثل بذرهم ، وإلا فلا تطمع أن تجنى إلاّ ثمر ما غرست ، فلم يسمع ، وجعل كلما حصد ثمراً بذر أشر منه ، وبقى يذم الأرض ، ويتوجع مما يلاقيه ويعانيه ، وهذا من الحمق الجلى الذى لا مزيد عليه .

تحرى الحلال ومجانبة الحرام

ولا أرى لما وقع وجرى من هذه الأمور المهلكة للدين والحال والمال ، دواء نافعاً ، إلا بأن يولى الله على الجهة والياً عادلاً ، قاهراً ، يحملهم على امتثال أوامر الله ، واجتناب نواهيه ، وخصوصاً فيما يتعلق بالحلال والحرام ، والمظالم والتبعات ، يبحث عن ذلك أشد البحث ، فإن الحرام بهذه الجهة عمّ وكثر ، وكاد أن يكون الحلال نادراً بها ، وذلك لكثرة الظَّلمه ، وعدم الرادع ، وغلبة الجهل ، وقلة الحياء والورع ، وظهور التجرى الذى لا مزيد عليه ، فإنه صار لا يمنعه من الحرام إلا عدم القدرة عليه والتمكن منه ، ومن قدر على شيء منه أخذه ، ولا يفرق بين الحلال والحرام ، وما يصح وما لا يصح ، ولا يبالى من أى جهة أخذ المال .

وَمَنْ هذا وصفُه لم يبال الله به فى أى وَادٍ أهلكه لمفاسده ، ولا يقبل الله منه طاعة ، ولا يسمع له دعاء ، وإن النار أولى به ، فلو صليتم حتى تكونوا كالحنايا ، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار ، من غير ورع حاجز ، لم يتقبل الله ذلك منكم . فعلم من هذا أن أكل الحلال أساسٌ للطاعة ، ولا تصح بدونه ، وأن العبادة مع أكل الحرام هباءٌ منثور ، لأن عبادة صاحبها مجرد صور ، ولا يجىء من أكل الحرام إلا أنواع الشرور .

اللهم هب لنا من رزقك الحلال الطيب المبارك ، ما تصون به وجوهنا عن التعرض إلى خلقك ، واجعل لنا إليه طريقاً سهلاً ، من غير تعب ولا نصب ، ولا منة ولا تبعة لأحد ، وجنبنا الحرام حيث كان ، وعند من كان ، وحُلْ بيننا وبين أهله ، واقبض عنا أيديهم ، واصرف عنا وجوههم ، حتى لا نتقلب إلا فيما يرضيك ، ولا نستعين بنعمتك إلا فيما تحب ، يا أرحم الراحمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

ذكر الله من أفضل العبادات

اعلم وفقنى الله وإياك لذكره ، وحمده وشكره ، أن أفضل العبادات ، وأقرب الطرقات ، وأكمل السعادات ، المداومة على ذكر الله ، وملازمته فى جميع الحالات ، أعنى مع الحضور والإخلاص ، والأدب والتعظيم له سبحانه وتعالى ، فمن لازم ذلك فلا بد ما يفتح الله عليه فى أقرب زمن ، هذا إذا رتب الأعمال ، بأن كان قد أتى بما عليه من أداء الواجبات ، وتجنّبِ المحرمات ، وإلا فقد ورد فى الحديث القدسى ما معناه : قل للظالمين لا يذكرونى فإنى أذكرهم باللعنة ، لأنى آليت على نفسى أن أذكر من ذكرنى . ولا يخفى ما ذكره الفقهاء أن من ترك فرضاً عمداً لا يجوز له التنفل وغيره ، من كل ما يشغل عن أدائه حتى يؤديه ، بل قد ذكر سيدنا الغزالى رضى الله عنه ونفعنا به ما معناه أن كل مؤمن توجب عليه أداء واجب فوراً ، مثل رد مغصوب ، أو وديعةٍ مطلوبة ، أو دين ، تشاغل عنه بأداء فرض الصلاة الذى هو أقرب القربات ، حرم عليه ذلك ، بل صرح بمثل ذلك الفقهاء فقالوا: يجب أداء ما فات بغير عذر فوراً ، ولا يجوز تقديم الحاضرة .

وقد ذكر سيدنا الغزالى رضى الله عنه فى موضع آخر من الإحياء : من تشاغل بعد الأذان الثانى يوم الجمعة ، ببيع عن السعى ، فالبيع باطل وهو عاص .

النهى عن التشبه بالأغيار

اعلم رحمك الله ، أن من مكائد الشيطان العظيمة لأبناء الأخيار ، أن يزين لهم التزيىّ بزىّ الجند والأشرار ، من لبس السلاح ، وتقصير الثياب ، وتبقية الشعر ، ومن تشبه بقوم فهو منهم ، وشبه الشىء منجذب إليه .

قال سيدنا الإمام محمد الغزالى رحمه الله ونفعنا به ، فى آخر كتاب الحلال والحرام من الإحياء ، عند ذكره الظلمة والتحذير من مجالستهم : فمن عُرِف بذلك فقد عرف ، ومن لم يعرف فعلامته طول القباء ، وطول الشارب ، وسائر الهيئات المشهورة ، فمن رؤى على هذه الهيئة يجب اجتنابه ، ولا يكون ذلك من سوء الظن ، لأنه هو الذى جنى على نفسه ، إذ تزيا بزيهم ، ومساواةُ الزى تدل على مساواة القلب ، فلا يتجانن إلا مجنون ، ولا يتشبه بالفساق إلا فاسق .

نعم : الفاسق قد يلبس فيتشبه بأهل الصلاح ، وأما الصالح فليس له أن يتشبه بأهل الفساد ، لأن ذلك تكثير لسوادهم . انتهى .

ولعمرى ما ترى أحداً تزّيا بذلك الزى ، إلا وهو قد استحسن سيرة الجند ، وزيّنها الشيطان فى عينه ، ومال طبعه إلى مجانستهم

ومجالستهم ، فقلّ ما ترى أحداً فعل ذلك إلا ونفر طبعه عن طلب العلم ، ومجالسة أهله ومذاكرتهم ، ولا يميل طبعه إلى العبادة وسيرة السلف الصالحين ، بل تراه مبتعداً عن أهل الفضل ، ونافراً منهم ، وإن اتفق له مجالستهم من غير اختيار ، اشتغل بذلك المجلس وضاق صدره به ، وهم كذلك ، وذلك لأنه لم تكن بينه وبينهم مجانسة ، ولا مؤالفة ، ولا موافقة ، بخلاف ما إذا جلس مع الجند ، وأهل السلاح والشر والغفلة ، فتراه بينهم منبسطاً منشرحاً بذلك ، فهذه والله بلية عظيمة ، ومصيبة وخيمة ، تدعو إلى كثير من الشرور ، التى لا يحصيها تعداد ، بل قد تجرّ إلى الاستطالة بغير حق وترويع العباد ، والتنائى عن قبول الحق وعدم الانقياد .

وقد ابتلى بهذه الخصلة بعض إخواننا العلويين ، وغيرهم من أبناء الصالحين ، فتراهم مثل الجند فى زيهّم ولباسهم ، حتى أنهم يلبسون الفضة والحرير ، ويظهرون بعض عورتهم ، من كثرة كفتهم الإزار ، حرصاً منهم على التشبه الكلّى بالجند والأشرار ، وتركاً وفراراً من سيرة سلفهم الصالحين الأخيار .

ثم إنهم لا يزالون يربون أطفالهم من حين صغرهم على ذلك ، فيكون عليهم وزرهم ووزر أولادهم ، لعدم إرشادهم إلى سبيل الصلاح والرشاد ، وعدم منعهم وردعهم عن التشبه بأهل الفساد .

وقد ورد فى الحديث : أن كل مولود يولد على الفطرة ، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا

حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فلا أَقَلَّ إذا عَدِمَتْ الحقيقة من سيرة السلف الصالحين ، وأخلاقهم الباطنة والظاهرة ، من إبقاء الصورة والرسم ، مع الاعتراف بالتقصير ، وعدم الدعوى ، ويبقى الحال كما قال القائل :

أما الخيام فإنها كخيامهم ... وأرى نساء الحي غير نسائها

وكيف لنا بذلك حتى صار الأمر كما قال الآخر :

حتى الخيام فلم تعد كخيامهم ... أما نساء الحي غير نسائها

فنرجو مولانا الكريم ، أن ينبّهنا على العيوب ، ويصلح منا القوالب والقلوب ، ويغفر لنا الأوزار والذنوب ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. والحمد لله رب العالمين.

تميز العادات المحمودة
عن المذمومة

وقال أيضاً : أما بعد ، فإنه لما كان يوم تسع وعشرين ربيع الثانى سنة ١٢٥٤ هـ حصلت مذاكرة من بعض المستفيدين ، عن العادة ما هى ؟ وهل كلها مذمومة كما أطلقه السلف الصالحون فى نظمهم ونثرهم ؟ أم فيها تفصيل ؟ ثم حصلت من ثان ، ثم من ثالث ، فأحببت أن أزيل إشكالهم ، بما فتح الله به ، مع أنى لم أعثر على كلام لأحد من السلف ، فى تمييز محمودها عن مذمومها .

فأقول وبالله أستعين ، وأسأله التوفيق والتسديد والإخلاص ، والهداية للصواب ، بمنّه وفضله ، وكرمه وجوده ، آمين ، بجاه سيد الأولين والآخرين ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه والتابعين .

اعلم رحمك الله أن سيدنا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : إن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وإنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين . أخرجه البخارى .

وقال الله سبحانه وتعالى ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾ وقال سبحانه وتعالى ﴿ **قل إن**

كنتم تحبون الله فاتّبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » أخرجه الشيخان وأبو داود ، وفى رواية « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » ، وعن مالك أنه بلغه أن النبى ﷺ قال : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ » .

وعن ابن سارية رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ، ثم أقبل علينا بوجهه ، فوعظنا بموعظة بليغة ، ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال رجل : يا رسول الله كأنّ هذه موعظة مودّع ، فماذا تعهد إلينا ؟ قال : « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن كان عبداً حبشياً ، فإنه من يعش منكم بعدى ، فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهتدين ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار » أخرجه أبو داود والترمذى .

فعلم بهذا أن العادة المذمومة على لسان السلف الصالح رضى الله عنهم ، هى كل ما خالف هدى النبى ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم ، ولكى نزيد ذلك بياناً وشرحاً نقول (كل مولود يولد على الفطرة) ، أى أنه قابل ومتأهل للخير والشر ، وإنما أبواه (أى من

رباه) يهودانه ، أو يمجسانه ، أو ينصرانه ، أو يهديانه للإسلام والخير.

فعلم أن الإنسان يتربى ويتدين ، ويتزيا ويتخلق ، بدين وزىّ وأخلاق من رباه وعلمه وأدبه ، إما بالفعل ، وإما بمجرد النظر والصحبة والمجالسة لذلك الإنسان إذا لم ير غيره ، فإن كان يخالط خلقاً كثيراً أخذ من كل منهم شيئا ، وغلب عليه ما غلب على جبلّته ، ومال إليه طبعه ، وما أحبه واستحسنه ، فالمرء مع من أحب ، والمرء على دين خليله ، والمرء من جليسه ، والناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم ، ومن تشبه بقوم فهو منهم ، ومن كثّر سوادَ قوم فهو منهم ، فترى كلَّ واحد يتزيّا بزى من يربيه ، ويحترفُ بحرفته ، ويتخلق بأخلاقه غالباً ، ويألف ذلك وينشأ عليه ، ويعتاده اعتياداً لا يقدر على تركه والانتقال عنه ، إلا بجهد جهيد ، ومشقة شديدة .

فمن نشأ على الخير والأفعال المحمودة ، واعتادها وألفها ، صارت له طبعا وعادة ، وعسر عليه ترك ما نشأ عليه ، ومن نشأ على زيٍّ ولباس مخصوص ألفــه ، وعسر عليه تركه والانتقال إلى زيٍّ آخر ، ولو كان حلالاً أو مباحاً إلا بمشقة وتعب ، فترى أهل كل جهة أو بلدة أو قبيلة ، لهم فى زيهم ومأكلهم ، وأثاثهم وأخلاقهم ، وفى أعراسهم وولائمهم ، أشياء تخصهم ، وعادات لهم ، مغايرة ومباينة لأهل جهة أو بلدة أو قبيلة أخرى ، وكل يستحسن ما هو فيه ، ويشق عليه تركه ، ويحزن على عدم تأتيّه له ، أشد من حزنه على فوات فرضٍ فاته فى جماعة ، مع أنها عادة قبيحة مذمومة فى الشرع ، بل وينفر

عنها الطبع أيضا ، ويستقبحها ، والدليل على هذا أنه إذا ورد غريب من جهة ليس بجهته هذه العادة ، ولا ألفها طبعه بمشاهدة ولا سماع ، يضحك عليهم ، وينكر ما هم عليه ، ويتعجب منهم غاية العجب ، ويبقى يذكرها باقى عمره لغير من لم يرها ، فيضحكون كثيراً ويعجبون بتلك الحكاية ، مع أنهم لا ينكرون ولا يعجبون ولا يضحكون مما يفعلون هم فى جهتهم من أشباه تلك العوائد ، مع أنها ربما كانت أفحشَ وأقبح ، بل لو لم يفعلوها ربما أنكِر عليهم ، والسبب فى ذلك كله الإلف والاعتياد ، فهذه أشياء تشبه الجنون ، أو هى منه ، لأن الجنون فنون ، وأقبح فنونه ، ما صورته جنون ، ويؤاخذ به الإنسان ، ولا يسقط عنه التكليف .

ولهذا كان ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم بُرَءَاءُ من التكلف ، ومن كل خلق مذموم ، فليس لهم عادة قط ، بل كل أفعالهم وأفعالِ نسائهم فضائلُ ومناقب ، فكان ﷺ يلبس ما وجد ، ويأكل ما وجد ، ويركب ما وجد ، ويولم بما وجد ، وقد لا يجد ما يعشى به الضيف ، فلا يتكلف ما فقد ، فيقول : من يُعشِّى هذا ؟ وإذا وجد يعطى المائتين من الإبل للواحد ، وأعطى ما بين جبلين من الشاء لواحد ، وأصحابه رضى الله عنهم كذلك ، يلبسون ما يجدون ، ويأكلون ما يجدون ، مع أنهم رضى الله عنهم لا يأخذون إلا الحلال المطلق ، فكانوا يتركون سبعين باباً من الحلال مخافة وقوعٍ فى الحرام كما روى ذلك عنهم .

ثم إنهم لما فتح الله عليهم الدنيا ، تأتىَّ لهم أن يكون لباسهم على

ما أرادوا ، ومأكلهم كذلك ، ويتسعوا فى الدور ويصير لهم كالعادة ، فأبوا ذلك ، وكانوا يتركون ذلك عمداً وقصداً ، فكان فى ثوب سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه اثنتا عشرة رقعة ، بعضها قطعة جراب ، وعوتب مرة على بذاذة زيّه ظنًّا من ذلك العاتب أن غير البذاذة أولى ، فقال له : إنّا قوم أعزّنا الله بالإسلام فلا نطلب العز بغيره . ولما بلغه أن سيدنا أبا الدرداء اتخذ كنيفاً أنفق عليه درهمين ، وكان يستعمله على حِمْص ، كتب إليه : من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، إلى عويمر ، قد كان لك فى بنى فارس والروم ما تكتفى به من عمران الدنيا ، أذن الله بخرابها ، فإذا أتاك كتابى هذا فقد سيرتك أنت وأهلك إلى دمشق ، فلم يزل بها حتى مات .

قال سيدنا الغزالى رضى الله عنه : فهذا رآه عمر فضولاً ، فتأمل فيه ، وكان بعض الصحابة رضى الله عنهم يحمل الحطب على ظهره ، وبعضهم يحمل القربة ، مع وجود من يكفيهم ذلك ، وأمثال ذلك كثيرة ، مما هو معروف ومشهور فى السير والتراجم ، لهم ولنسائهم ، من جميع أفعالهم التى كلها فضائل وأحكام وحجة يقتدى بها ، والتى عند ذكرها تنزل الرحمة ، مما درست وعفت بموتهم ، حتى قال بعض كبار التابعين : أدركنا رجالاً كنا نعد فى جانبهم لصوصاً ، لو رأيتموهم لقلتم مجانين ، ولو رأوا خياركم لقالوا : ما لهؤلاء من خلاق ، ولو رأوا أشراركم لقالوا : ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب ، فما ظنك بنا وبزماننا ، فالله المستعان .

وقد بلغ من شؤم العادة وضررها ، أنه إذا نشأ عليها الإنسان ، وألفها واعتادها ، يعسر عليه تركها ، والتوبةُ منها ، والندم عليها ، بل الكفار قالوا ﴿ **إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون** ﴾ وكل من اعتاد نظر ذلك من غيرِهِ ، أو سماعه سقط عُظْمُ فُحْشِها من قلبه ، فمن ذلك : كشف بعض الجند والمحترفين والنساء شيئا مما يجب ستره وهم يعلمون أن ذلك حرام ، وقالوا : عادة ، وينوحون على الميت لأجل العادة ، والجند يتقاتلون ويتناهبون ويأخذون بريئاً بجريمة غيره ، ويطلبون مكوساً وقالوا عادة ، وكذلك يقع فى بعض الأعراس تبرج من النساء واختلاط بالرجال وأشياء محرمة وقالوا عادة ، وكذلك تجرى كثير من المعاملات من البيع والإجارة ونحوها على غير الشرع وقالوا عادة ، وكذا يترافعون فى مشاجرتهم إلى من يحكم بغير الشرع وقالوا عادة ، فهؤلاء فى عاداتهم خالفوا نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، فانظر رحمك الله كيف صار ضرر العادة وإلى ماذا بلغ مثل اكتساب الأموال الزائدة على قدر الضرورة والحاجة ، وإنفاقها فى الشهوات واللذات ، وتشييد المبانى وتزيينها ، وتحلية النساء والصبيان بالذهب والفضة والحرير ، واتخاذ الأوانى والفرش الوثيرة ، والثياب الكثيرة الملونة وغيرها ، مما فيه كسر قلوب الفقراء والمساكين ، وترغيب السفهاء والأغبياء فى طلب مثل ذلك .

آداب الجوار والصحبة

قال فى **الإحياء** فى كتاب آداب الصحبة : روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، عن النبى ﷺ أنه قال « أتدرون ما حق الجار ؟ إن استعان بك أعنته ، وإن استقرضك أقرضته ، وإن افتقر جدت عليه ، وإن مرض عدته ، وإن مات اتبعت جنازته ، وإن أصابه خير هنأته ، وإن أصابته مصيبة عزيته ، ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ، وإذا اشتريت فاكهة فأهدِ له ، فإن لم تفعل فأدخلها سراً ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها ، أتدرون ما حق الجار ؟ والذى نفسى بيده ، لا يبلغ حقَّ الجار إلا من رحمه الله تعالى » انتهى .

فتأمل رحمك الله قوله « ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده » إلى آخره ، هذا فى فاكهة ، يمكن أهل ذلك الصبي إذا رأوا حسرة صبيهم ، وبكاءه واشتغلت قلوبهم من أجله ، أن يشتروا مثلها ، فكيف إذا رأى نساؤهم وصبيانهم وهم فى أحسن الحليِّ والحلل ، نساءَ جيرانهم وصبيانهم ، ونساء أرحامهم وصبيانهم ، وهم فى بذاذة زيهم ، وضنك من العيش ، وكيف يكون حال أهليهم إذا رأوا حسرتهم ، مع أن الصبى ونحوه لا يمكن تسليته بأن الفقر أفضلُ وأحسن من وجوه كثيرة ، فليتهم إذا لم يفرحوهم ويسروهم ، لم

يحزنوهم ويغيظوهم ، وليتهم أخفوا هذه الأموال ولم يظهروها ، وليتهم إذا لم يؤتوا خيرها يكفون الناس شرها ، وليت من أحب ذلك من زوجته يأمرها أن تلبسه له فى خفية ، بحيث لا يعلم بذلك قريب ولا بعيد ، فكم وقع بسبب ذلك من تشتيت وتبديد ، وتخريب وهموم وغموم ، وذل وخوف ، وديون وشجون ، ومباغضة ومحاسدة ، وفتن ومحن ، وكم فاتت لأجلها علوم جليلة ، وسير حميدة ، وأعمال مفيدة ، وأحوال رضية ، وأنس وسرور ، وعيشة هنية ، من قناعة ورضا وزهد . ومن ذلك ما حكى عن بعض آل الشيخ أبى بكر بن سالم ، أنه زوج ابنته على رجل سافر وأتى لها ببعض حلى ، وأعطاها إياه ، فلما رآه عمه خلاّه ليلة ، فلما كان اليوم الثانى كسر عمه ذلك الحلى ، فاشتغلت البنية من أجل كسره ، فقال لها والدها : ينكسر قلب واحد ولا ينكسر كذا كذا قلباً ، غداً يأتين نساء آل الشيخ أبى بكر ، فإذا رأينه تنكسر قلوبهن ، إذا لم يكن معهن مثل ذلك ، فانظر إلى هذا النظر السديد ، والرأى الرشيد ، إن كنت ممن ألقى السمع وهو شهيد ، والكلام مع غير من ذكر لا يفيد . قال سيدنا الغزالى رضى الله عنه فى **الإحياء** ، فى كتاب ذم الدنيا « وطائفة أخرى زعموا أنهم تفطنوا للأمر ، وهو أن السعادة فى أن يقضى الإنسان وطره من شهوة البطن والفرج ، فصرفوا هممهم إلى اتباع النساء ، ولذيذ الأطعمة ، وطائفة أخرى ظنوا السعادة فى حسن الاسم ، وانطلاق الألسنة بالثناء والمدح بالتجمل ، فصرفوا أموالهم إلى الملابس الحسنة ، والدواب النفيسة ويزخرفون أبواب الدور ، وما

يقع عليه أبصار الناس ، وطائفة أخرى ظنوا أن السعادة فى الجاه والكرامة بين الناس ، وانقياد الخلق بالتواضع ، والتوقير لهم ، فصرفوا هممهم إلى ذلك ، وغير هؤلاء طوائف يطول حصرها ، تزيد على نيف وسبعين فرقة ، كلهم ضلوا وأضلوا » انتهى مع اختصار كثير .

تكلف الولائم من العوائد المذمومة

فإذا أطلق ذم العادة ، فالمراد به مثل هذه الأشياء ، وتطلق أيضا على تكلف الولائم فى الأعراس والولادات ، ومجىء الزوج والزوجة إلى عند أهل الزوجة والقرابة بعد العرس ، ونحو ذلك من الترهات ، وتضييع الأوقات ، لابِنيّةٍ صالحة ، بل يدعون ناساً كارهين حضورها ، ويتركون ناساً فقراء جياعاً ، راغبين إلى أكل اللحم ، وإنما يكرهون حضورها لأنهم فى حال ذهابهم إليها يتكلفون أشياء كثيرة ، ولأنّهم لا بد لهم بعد ذلك من مكافآت الداعى لهم بمثل دعوته ، لأن العادة عندهم أنهم لا يدعون إلا من يدعونهم ، ولا يصلون إلا من يصلهم ، غالباً ، وإن دعوا غير من يدعونهم أو واصلوه لا بد أن يكون لعلة وغرض ، وقد يكون لنية صالحة ، وهو نادر جداً ، فتراهم يتكلفون ويكلفون غيرهم ، مع الكراهة من الجانبين ، إلا لعذر نادر من صاحب الثروة الواسعة ، والنفس السمحة ، وقليل ما هم ، وأما كونه لوجه الله فلا أدرى كيف يكون ، وعدم المكافىء يخاف الهمز واللمز وراءه ، بل بما هو أعجب من أن يكون ذلك من بعض الناس فى وجهه .

ولهذا تكلف بعضهم الغربة فى مشيئة هذه العوائد ، وبعضهم يستدين لها مع أنه ليس معه قبيل لذلك الدين من وجه ظاهر ، فتراهم يدخلون فى معاملات تشبه الرباء والربا الصريح ، قال سيدنا

الغزالى رضى الله عنه فى **الإحياء** عند (ذكر منكرات الضيافة) : وأما الإسراف فقد يطلق على صرف المال فى المباحات فى حسنها ، ولكن مع المبالغة قد تختلف بالإضافة إلى الأحوال ، فنقول من لا يملك إلا مائة دينار مثلاً ، ومعه عيال وأولاد ولا معيشة لهم سواه ، فإن أنفق الجميع فى وليمة فهو سَرَفٌ يجب منعه ، إلى أن قال : فمن أسرف هذا الإسراف ينكر عليه ، ويجب على القاضى أن يحجر عليه ، إلا إذا كان الرجل وحده . وكان له قدرة فى التوكل صادقة ، فله أن ينفق جميع ماله فى أبواب البر . انتهى .

وقال فى كتاب ذم الغرور « روى أبو نصر التمّار ، أن رجلاً جاء يودع بشر بن الحارث ، وقال له : قد عزمت على الحج هل تأمرنى بشىء ؟ فقال : كم أعددت للنفقة ؟ فقال ألفى درهم ، فقال بشر : فماذا تبتغى بحجك ؟ نزهة أو اشتياقاً إلى البيت ؟ أو ابتغاء مرضاة الله ؟ قال مرضاة الله ، قال : فإن أصبت رِضَى الله عنك وأنت فى منزلك ، وتنفق ألفى درهم . وتكون على يقين من مرضاة الله ، أتفعل ذلك ؟ قال : نعم ، قال اذهب فأعطها عشرة أنفس ، مديونا يقضى بها دينه ، وفقيراً يلم شعثه ، ومعيلاً يحيى عياله ، ومربى يتيم يفرحه ، وإن قوى قلبك تعطيها واحداً فافعل ، فإن إدخالك السرور فى قلب المسلم ، وإغاثةَ اللهفان ، وكشف الضرر ، وإعانة الضعيف ، أفضل من مائة حجة ، بعد حجة الإسلام ، قم فأخرجها كما أمرناك ، وإلا فقل لنا ما فى قلبك ، فقال : يا أبا نصر ، سفرى أقوى فى قلبى ، فتبسم بشر ، وأقبل عليه ، فقال له : المال إذا جمع من وسخ

التجارة والشبهات اقتضت النفس أن تقضى به وطراً ، فأظهرت الأعمال الصالحات ، وقد آلى الله تعالى على نفسه أن لا يقبل إلا أعمال المتقين ، والحمد لله رب العالمين . انتهى ما قاله سيدنا عبد الله بن الحسين بن طاهر نفع الله به وإنما قصدنا الاختصار بهذا .

الحث على طلب العلم

● فضل العلم والعلماء :

ولما كان المقصود من القناعة تفريغ البـال عن الاشتغال ، وصرف أنفاس العمر إلى العلم الذى هو أساس الأعمال ، ودليل كل خير وأفضال ، إذ لا حياة لأجله ، ولا احترام ولا احتشام إلا لأهله ، أحببنا أن نورد شيئاً من فضائله ودلائله ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ** ﴾ وقول النبى ﷺ : « علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل » وقوله ﷺ : « فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم » وقوله « لفقيهٌ واحد أشد على الشيطان من ألف عابد » وقال سيدنا عمر بن سقاف فى (**تنبيه الغافل**) : الباب الأول فى فضل العلم وشرفه ، وذم الجهل وشؤمه ، والتحذير من مخالطة الجهال وأهل الضلال ، ثم ذكر جملة من آداب العالم والمتعلم ، ثم أتى بالآيات المتقدم ذكرها ، والأحاديث ، ومنها العلماء ورثة الأنبياء ، ثم قال : ناهيك بورثة مقام النبوة شرفاً وفضلاً ومجداً ، وقوله علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل ، شبههم بالأنبياء فى دعوتهم إلى الله ورسوله ، وتنويها بمقامهم العالى ، واعلم أن العلم يرفع الوضيع ، والجهل يُنزل الرفيع ، فمن شرف نسبه ، وأظلم بالجهل حسبه ، نزل به الحال ، ووضع مقامه مع الجهال ، ولا يرفع النسب

إلا من شرف نسبه بمخالطة العلماء ، وزين حسبه بسلوك سلفه القدماء ، وكمل علمه بالأعمال ، وأخلص لربه فى الأقوال والأفعال ، وجمل علمه وعمله بالزهد فى دار الزَّوال ، المشبه بالخيال ، فما الحياة إلا لأهل العلم وما الموت إلا لأهل الجهل كما قيل شعراً :

وفى الجهل قبل الموت موت لأهله ... وأجسامهم قبل القبور قبور

فنى العلم راحة الأبد ، وفى الجهل موت الأبد ، وعليك أيها الطالب بمعرفة حق العلم والأدب له ، ليكمل لك النفع ، وتزداد بعلمك فضلاً وسعادة ، وتتسع معرفتك ، وتتم به سعادتك ، قال ﷺ : « يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مدادُ العلماء » وفى الإحياء : أن أحدهما لا يفضل على الآخر ، والغزوة فى طلب العلم خير من مائة غزوة فى سبيل الله وأنشدوا :

ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء

أى من مات بالجهل والبعد عن الله ، فهو الميت حقيقة ، وإن كان حيًّا صورة وجسماً وقال ﷺ : « النظر إلى وجوه العلماء عبادة » فانظروا إلى شرف العلم وكون النظر إلى العلماء عبادة ، وكيف لا ، والنَّظر إليهم يورث رقة القلوب ، ومغفرة الذنوب ، ويحصل للناظر إليهم الندم على تقصيره ، والذكر لمصيره ، وتعرف بالنظر إليهم طريق الخلاص ، ومراتب الخواص ، هذا فى النظر إليهم بعين التعظيم

والاحترام ، وحسن الظن التام ، أما الناظر إليهم بعين الاحتقار نعوذ بالله من ذلك فقد خسر وخاب ، وآب شر مآب ، ويخشى عليه سوء الخاتمة ، والوقوع فى الهاوية . وقد قال ﷺ : « أنتم على بينة من ربكم ما لم تظهر منكم السكرتان : سكرة الجهل وسكرة حب الدنيا » ولعمرى لقد غلبت هاتان السكرتان على غالب القلوب واستغرقتها ، ومالت بها عن سبيل الهداية ، وسلكت بها مسالك الغواية ، وضاعت منها الأعمار ، وصار بنو العلماء من الأغمار ، وليت شعرى ما أنساهم سير أسلافهم الأكابر ذوى العلم والزهادة ، والنور والعبادة ، مرت أوقاتهم فى السعى فى الخيرات ، وفى العلم والعمل بالصالحات ، مع الإخلاص وعدم الدخول فى الفضول.فما لنا هجرنا هذه الطريق ، ولم نقتد بخير فريق ، أيقظنا الله من نوم الغفلة ، ورزقنا اللحوق بهم فى الحط والرحلة ، واعلم أن الله سبحانه وتعالى شرف هذه العصابة العلوية ، المخصوصة بها الجهة الحضرمية ، بالنسب العالى المنيف ، وبفضل العلم الشريف ، فلقد حازوا النسبتين ، وتحلوا بالطريقتين ، فاكتسبوا الفضائل وجانبوا الرذائل ، وصاروا عند الله بأعظم المنازل ، وأما الآن ، فى هذه الأزمان ، فقد أعرض الخلف ، عن سير السلف ، وسيندم من آثر الجهل وحبَّ الدنيا من أهل هذا البيت خصوصاً لأنهم القدوة ، وبهم الأسوة ، وقد مضى أسلافهم على القدم الراسخ فى العلم والعمل ، والخوف والوجل ، ولقد أكثروا لأجله الرحلة إلى الجهات البعيدة الشاسعة ، وأما الآن فقد عدمت الرحلة فى طلب العلوم ومعالى الأمور بل إنما

رحلتهم لطلب الدنيا الفانية الزائلة إلى جهات لم تذكر فيما سبق كجاوة التى هى قلب الدنيا وغيرها من الأقطار ، ولم يبالوا بركوب الأخطار ، وسبب ذلك عدم القناعة فى المطاعم والملابس والشهوات ، كما كان عليهم سلفهم الماضون من الاكتفاء بالدون فى جميع ذلك إذ كانت لذتهم فى المطالعات ، والمذاكرات ، وفعل الطاعات ، كما قال الشيخ عبد المعطى بن حسن باكثير فى وصف بعض آل أبى علوى شعراً :

قد عشت فى أم القرى دهراً على تحصيل علم ثم درس قرآن
وعبادة وزهادة فى خلوة مستكفياً على سائر الإخوان
وقيام ليل مع صيام هواجر متمسكاً بالبيت ذى الأركان

فتأمل سيرهم فى كتاب المشرع وغيره تعلم ذلك ، وترشد لما هنالك .

● مجالسة العلماء وأثر المجالسة :

وعليك أيها الطالب ، لأسنى المطالب والمراتب ، بمجالسة العلماء وأهل الفضل والعقل ، وجانب أهل الغفلة وأرباب الجهل ، فقد قيل : مجالسة الجاهل مرض العقل ، ومجالسة أرباب الجهالة نزول عن العُلاَ وسفالة ، واختر مجالسة من ينفعك لفظه ، ويزينك لحظه ، وتقر بقربك منه واتصالك به عيونُ محبيك ، وتسخن به عيون عدوك وشانيك .

عليك بأرباب الصدور فمن غدا   جليساً لأرباب الصدور تصدرا

وقد قيل : من جالس دانس ، فاحذر من مجالسة من ليس من جنسك ، فإنك إن جالسته تقاس به ، وينزل قدرك ، فمن خالط الأفاضل فَضُل ، ومن خالط ومازج الأنذال نَزَل .

● الزهد فى الدنيا زينة طالب العلم :

واعلم أن الزهد فى الدنيا زينة الطالب ، فلا تشن علمك بمحبتها ، والجمع لحطامها ، فيُكسف نور طلبك للعلم ، ويصير علماً بالجهل أشبه ، اللهم إلا ما لا بد منه ، مما كان سبباً لصيانة المروءة والدين ، ودفعاً للفاقة والسؤال ، وخوف الطمع فى أموال المسلمين ، فنعم العون للرجل الصالح ، المال الصالح ، من الحلال ، لكن على وجه يليق بالمبتغى ، من عدم خرم مروءة ، ومع القناعة التى هى أقوم طريق . فمن حصل على شىء من المال بوجه حلال ، وأنفقه فيما به نفعه ، فأعظم بها نعمة بعد نعمة الإسلام ، التى هى الاكتساب من الحلال ، على نفسه والعيال ، والتجارة من الحلال عون لمن لا يكون مشتغلاً بالعلم . وأما من صدقت نيته فى الطلب ، وجد واجتهد فى نيل الأرب ، وإن كان فقيراً من الدنيا ، فسوف يغنيه الله من فضله ، فقد تكفل الله لطالب العلم تكفلاً خاصاً ، وقد جربنا ذلك كثيراً ، ورأينا ستر الله شاملاً على من توجه إلى ربه بطلب العلم ، ولا تغبط أهل الجاهات وأهل الرّياسات ، والمشغولين بالتنعم بالشهوات ، فالعلم ألذ من ذلك كله وأعظم لذة ، كما يعرف ذلك من ذاقه ، قال سيدنا عمر بن سقاف : لقد أوصيت أولادى بوصية فى أبيات منظومة لما خشيت عليهم الركون إلى الفانيات ، والغبطة لأقرانهم ممن رأوا عليهم شيئاً من الرفاهيات ، أو ملبوساً من اللباسات ، فكل هذه

الحالات ، تعد من المحالات ، من جملتها :

أبى دونكم العلوم ودرسها ... لا تعدلوا عنها بعذل عواذل
فيها السلو عن الحطام وجمعها ... وبها الدنو إلى المقام الحافل
وبها التنزه فى الرياض كأنها ... جنات عدن فى النعيم الكامل
عجباً لدهر السوء مال بأهله ... نحو الخيال وكل حال حائل
مالوا عن العليا وكل مزية ... عظمى إلى الحرص المشوم السافل
ركنوا إلى دار الغرور وغرهم ... فيها الغرور وقادهم بحبائل
فاستعذبوا فيها العذاب وأجمعوا ... رأياً على الأمر الحقير الزائل
عظمت بأعينهم وها هى زبلة ... من شؤمها قد ألقيت بالساحل
فحذار من نظر العيون تعشقاً ... لملابس ومطاعم ومآكل
فالزهد أشرف كل شىء ناله ... شخص إذا بالعلم طال بطائل
وإذا تعشقها الحكيم فما له ... من حكمة خلط الرفيع بنازل
بؤساً لها ولحالها وكمالها ... وهباتها مرجوعة فى العاجل
أخشى على العقلاء غرة جاهل ... فى شأنها أو حاذق متجاهل
زعماً بأن لها ارتفاع مزية ... حاشا فما تحت الكنيف بحاصل
وإذا توجهت النفوس لشأنها ... فقفوا على الشأن العزيز الكامل
تقوى إله العالمين وزهدكم ... والعلم سلوة كل قلب عاقل
إنى رأيتُ الدهرَ فيه تقلبٌ ... وتظاهر بأمورِ لهوٍ باطل
إنى أحذركم وأسأل خالق ... عفواً وعافية ونيل منازل
فيها مقامكم العزيز بعفة ... وكفاية وحماية وتواصل

واعلم أن إعزاز العلم ، بالانقباض عن عموم أهل الزمان وعن قرناء السوء المتهورين الذين يغلب عليهم سوء الظن بالعلماء وبأهل الخير إلا من عصم الله وقليل ما هم .

● آداب طالب العلم :

وعلى ذكر العلم والعلماء فقد ذكر السيد السمهودى المدنى فى كتابه « **جواهر العقدين فى فضل الشرفين** » آداباً عجيبة يتعين على طالب العلم العمل بها ، والنظر فيها ، قال : روى البيهقى عن ابن مسعود : لو أن أهل العلم صانوه ووضعوه عند أهله ، لكانوا سادوا به أهل زمانهم ، ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا ، لينالوا به من دنياهم ، فهانوا على أهلها ، سمعت نبيكم ﷺ يقول : « من جعل الهم هماً واحداً هم آخرته كفاه الله ما أهمه من أمر دنياه ، ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا لم يبال الله فى أى واد أهلكه » ولله در العلامة القاضى أبى الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى حيث يقول :

يقولون لى فيك انقباض وإنما ... رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهمو هان عندهم ... ومن أكرمته عزة النفس أكرما
وما كل برق لاح لى يستفزنى ... ولا كل من لاقيت أرضاه منعما
وإنى إذا ما خاننى الدهر لم أبت ... أقلب كفى إثره متندما
ولم أقض حق العلم إن كان كلما ... بدا طمع صيرته لى سلما
إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى ... ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم أبتذل فى خدمة العلم مهجتى ... لأَخْدُمَ من لاقيت لكن لأُخْدَما
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلة ... إذاً فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه فى النفوس لعظما

ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا محياه بالأطماع حتى تجهما

ثم ذكر السمهودى المذكور أبياتاً فى الحث على طلب العلم والرضا بالقلة من العيش ثم قال : وملاك هذا الأمر ، علو الهمة ، وعدم التدنس بالأطماع ، ولزوم القناعة :

فالحر عبد إن طمع والعبد حر إن قنع

ولله در القائل :

قنّع النفس بالكفاف وإلا طلبت منك فوق مايكفيها

وعن على رضى الله عنه فى قوله تعالى ﴿ **فلنحيينه حياة طيبة** ﴾ قال بالقناعة ، وعن سعيد بن جبير قال ، لا نِحْوجُه إلى أحد ، قال بشر بن الحارث : لو لم يكن فى القنوع إلا التمتع بالعز لكفى صاحبه ، ومن دعائه ﷺ : « اللهم قنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيه » انتهى . فأشب أيها الطالب قناعتك بعلمك ، واطلب من ربك البركة فيه بالزيادة ، وسعة الفهم فى العلوم ، والتوفيق للعمل والإخلاص ، حققنا الله بذلك .

ثم نقل السمهودى : أن من آداب المتعلم ، أن يطهر قلبه من كل غش وغل ، ودنس وحسد ، وسوء عقيدة وخلق ، ليصلح بذلك القبول على العلم وحفظه ، والاطلاع على دقائق معانيه ، وحقائق غوامضه ، فإن العلم صَلاةُ السر ، وعبادة القلب ، وقربة الباطن ،

وحسن النية فى طلب العلم لا بد منها ، بأن يقصد به وجه الله عز وجل ، والعمل به ، وإحياء الشريعة ، وتنوير قلبه ، وحلية باطنه ، والقرب من الله تعالى يوم القيامة ، والتعرض لما أعد لأهله من رضوانه ، وعظيم فضله ، وأن يبادر شبابه وأوقات عمره فيصرفها فى التحصيل ، ولا يخدع نفسه بالتسويف والتأميل ، فإن كل ساعة تمضى من عمره لا بدل لها ، ولا عوض عنها ، ويقطع ما يقدر على قطعه من العلائق الشاغلة ، والعوائق البالغة ، عن تمام الطلب ، وبذل الاجتهاد ، وقوة الجد فى التحصيل ، فإنها القواطع للطريق ، ولذلك استحب السلف التغرب عن الأهل والوطن ، تقليلاً للشواغل ، لأن الأفكار إذا توزعت قصرت عن إدراك الحقائق ، بحسب ﴿ **ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه** ﴾ وأن يقنع من القوت بالذى يتيسر منه ، ومن اللباس ماستر مثله ، وإن كان خَلِقاً ، فالصبر على ضيق العيش ينال سعة العلم ، ويجمع شمل القلب عن متفرقات الأمانى ، فتنفجر منه ينابيع الحكم ، وقال الشافعى رضى الله عنه : لا يطلب أحد هذا العلم بالملك وعزّ النفس ، ولكن يطلبه بذل النفس ، وضيق العيش ، وخدمة العلماء ، فإن فعل ذلك فقد أفلح ، إلى أن قال : فهذه كانت أحوالهم رحمهم الله ، ومن آثر طلب العلم على الاحتراف فإن الله يعوضه ويأتيه الرزق من حيث لا يحتسب ، وقد قيل فى فضل العلم وطلبه :

تعلم فليس المرء يولد عالماً وليس أخو علم كمن هو جاهل

وقد قيل أيضاً :

الجهال نار لدين المرء يحرقه والعلم ماء لتلك النار يطفيها

وقيل أيضاً :

وفى الجهل قبل الموت موت لأهله فأجسامهم قبل القبور قبور

وقد نقل كثيراً من مثل تلك الآداب ، سيدى العم عمر بن سقاف فى (**تنبيه الغافل**) ينبغى لطالب العلم الاطلاعُ عليها والتحلى بها ، إلى أن قال : وإنما نقلنا هذه الفوائد والفرائد تذكيراً وتنشيطاً ، وإرشاداً لنا ولأولادنا وأخبابنا ، وتحذيراً من الغفلة التى عمت وعظم شرها ، وصار الكل بمعزل عن الفضائل ، واستولت عليهم الشهوات وكسبُ الرذائل ، وصاروا أتباعَ كل ناعق ، يرقصون وراء الغانيات ، ويتابعون داعى البطالات ، دهتهم دواهى النفوس ، فحُرِموا العزيز المنفوس ، واستغرقوا بِهمِّ المطعوم والملبوس . وأعرضوا عن العلم والعبادة ، ولم يسلكوا طريق القناعة والزهادة . وقد مضى الأسلاف من آل أبى علوى على كسب العلوم وإيثار الخمول ، والميل عن البطالة ومتابعة الفضول ، رزقنا الله سلوك سبيلهم..آمين .

● العلم الواجب :

ثم تكلم سيدى عمر على العلم الواجب الذى لا يسع أحداً جهله الذى قال فيه النبى ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » قال بعد ذلك : « فلا يسع المسلم جهل ذلك ليكون على بصيرة من أمر دينه وتبصرةٍ من ربه » ومقصودنا التنبيه على أن معرفةَ ذلك واجبٌ

علينا ، والجاهل به لا يعد كامل الإسلام ، بل من الأنعام ، وليته مثلُها فى عدم المؤاخذة ، بل هو معاقب ومؤاخذ بتقصيره ، نادم عند مصيره ، إذ قد شرفه الله بالعقل وميزه عن البهيمة بذلك ، فلا يجمل ولا يحسن بمن يدعى الإسلام أن يقصر فى معرفة دينه ، ولا يعلم نفسه وولده ما يلزم معرفته ، بل تراه يجتهد فى صرف ولده إلى سبب دنيوى ، وتراه يضربه إذا قصر فى أمر دنياه ، ولا يرشده إلى حالة تنفعه فى أخراه ، ولو أصلحوا دينهم فلا أقل من تعلم ما فى المختصرات للمكتسب والمحترف ، وأما من أراد التوسع فى العلوم وأمكنه الزيادة فيا حبذا لو صرف ريعانَ العمر والشباب فى اكتساب العلوم النافعة ، والتمتع بها وبثمارها اليانعة ، وخصوصاً أهل بيت رسول الله ﷺ كما أسلفنا ذكره فى الباب المتقدم لأن سادتنا آل أبى علوى لم يكن لهم شغل إلا كسب العلوم ، والتنعم بعبادة الحى القيوم ، وتلك حرفتهم وشغلهم ، وإذا أرادوا التكسب لصيانة الدين والسعى فى الحلال ، فالزراعة ، لكونها أفضل المكاسب وأعمها نفعاً ، وهى حرفة الصالحين ، ومكتسب المؤمنين ، لكن بعد التمكن من العلم حتى يخرج من غمار الجهل ، ويسلك مسلك الفضل ، وبحيث لا تستغرق صفوة أوقاته ، ولا تشغله عن علمه وعمله وعباداته ، ويسلم من الشبه فضلاً عن الحرام ، والوقوع فى الآثام ، ويرتب أوقاته ومجالس علمه ، والنظر فى أسباب معاشه فيجعل لكلٍّ وقتاً وشغلاً فحينئذ تظهر البركة فى أوقاته وأسبابه ، فمن دبر أمر دينه ، دبر الله له دنياه ، ولكن ليت شعرى إنما قلّت البركات فى زماننا هذا لكثرة الشبه ، بل دخلوا فى

الحرام وشاركوا أهله ، وضيعوا العلم والدين ، فترى الشخص من أهل البيت وأهل الدين ، قد ضاع عمره فى البطالة والجهالة ، مقصراً فى مجالس الخير ، بل مضيعاً لبعض صلاته ، مشتغلاً بأسباب معاشه ، وقد نسى ما كان عليه سلفه الصالح ، من تقديم أمر الدين ، فليت شعرى لما ضيعنا أوامر الله ضعنا ، فلو استيقظنا من نومتنا لظفرنا بالسلامة فى دنيانا وأخرانا . اللهم أكرمنا بنور الفهم ، وأخرجنا من ظلمات الوهم ، فمن فهم سلك السبيل ، وعرف أن ظلمات الوهم هى فى التعلق بالأسباب ، والغفلة بها عن العلم والعمل لرب الأرباب ، فلم يشتغل بكسبه عن ربه ، والفطن من لم يشغله السبب عن المسبب .

ثم إذا كان أمر الزراعة لا يصلح لكل أحد ، والغالب أن المشتغل به مضيّعٌ لأوقاته ، ومستغرق جميع ساعاته ، ولا يفرغ لكسب العلم الشريف الذى هو حرفة أسلافه ، فليعدل إلى سبب آخر ، كتجارة ونحوها ، مما هو أسلم لدينه ، وأروح لقلبه ، ويكون جل أوقاته فى طلب العلم ، فيكون سببه عوناً لعلمه ، وأما من تجرد لطلب العلم وصدق فيه ، فإن الكون كله يصير خادماً له ، وتأتيه المعونة من الله الخاصة ، ويدرك ما لا يدركه الساعون فى طلبها ، ويكون له أى العلم غنى وراحة ، وفرحاً واستراحة ، روّح الله قلوبنا بالعلم والأدب ، وسلك بنا مسلك الأصفياء الأحباب ، آمين .

فليعرف الإنسان سير سلفه الصالحين ، الزاهدين فى الدنيا ، القانعين باليسير منها ، الراغبين فى أرباح الآخرة وفوائدها ، الذين لم

يجمعوا الدنيا إلا لصلة الأرحام والقربات ، وفعل المكرمات والمبرات ، والعطف على المساكين والأيتام ، وتفقد المساكين ثم الأباعد من أمة الإسلام ، فهكذا تكون أفعالهم ومذاكراتهم فى مجالستهم ، فإن بمجالسة هؤلاء ترق القلوب ، وتغفر الذنوب ، وبالعكس أكثر جلساء هذا الزمان وصحبتهم على جمع الدنيا ، وذكر أسبابها وشهواتها ، وكثرة القيل والقال فى أخبار الزمان وحوادثه ومنكراته ، من غير اعتبار ولا ادّكار ، فخلطة أهل الزمان الفاسد ، والصحبة والمجالسة لهم ، تقسّى القلوب ، ويكثر الحرص على الدنيا والتكالب على جمع حطامها ، فاحذر من ذلك ، واسلك فى صحبتك وأُخوّتك أحسن المسالك ، تحشر مع المتحابين ، وترزق كمال الرحمة من أرحم الراحمين ، واستعن بالله إنه نعم المعين ، والحمد لله رب العالمين . انتهى ما أردت نقله من كلام سيدنا عمر بن سقاف .

النهى عن الأسفار وركوب الأخطار
فى حقير الأوطار

أقول : وقد وصل إلىّ مكتوب من المعلم العالم عبد الله بن سعد بن سمير ، وذلك قبل وفاته بنحو نصف شهر ، وقرأناه بحضرة سيدى خليفة الزمن ، السيد الحسن بن صالح البحر ، بمحضر عظيم لديه ، وذاكر بعد ذلك إلى أن قال : اقرأوا هذا الكتاب لهؤلاء الذين يسيرون إلى تلك المحال ، فى طلب المحال ، وهذا المكتوب :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً تنجلى به الغياهب ، وتندفع به المواهب ، وتنجح به المطالب ، وتتضاعف به المواهب ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد إمام المشارق والمغارب ، ما وخدت قلوص براكب ، ثم على خاتمة أولى التحقيق والبيان ، المشار إليه بالبنان ، على أعيان الزمان ، المتفنن سيدى السيد محسن بن سيدنا علوى بن سقاف ، جمع الله به الشمل فى وادى الأحقاف ، مع شمول الألطاف ، وزوال الأخواف ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، صدرت من سرايه ، رجعنا إلى الورى ، نخشى القهقرى ، لا ندرى لبلوغ أمنية ، أو لحضور منية ، ربنا يخلق ما يشاء ، ويختار ما يشاء ، وقد طال البعد عن الديار ، وحرجت النفس من الأسفار ، لما نقاسى ونشاهد من

الكفار والفجار ، وأمور لا يعبر عنها فى الأسفار ، ولا يصدق بها إلا من شاهدها وكان له بعض استبصار ، أحوال وأقوال ، خارجة عن حد الاعتدال ، مع اعتقادنا عليها أنها من عين الكمال ، ووالله لو ما أمامنا من الحقوق اللازمة التى لا يتركنا أهلها ، لما كنا نقف فى تلك الجهة ساعة من الزمان ، ولا يشك من خبر أحوال أهلها واختبر ما هم عليه من المعاملات ، فى وجوب الفرار من بينهم ، ومن لم ير يضيق صدره بحوادث الوادى وما هى عليه ، وما عسى أن تكون ، فلا يوزن عظائمها بمحقرات غيرها ، ولكن لا يعرف قدر العافية إلا السقيم ، والأمر لله العليم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وقد كانوا فيما سبق يصبرون على ما يحصل فيها من المحن الدينية والبدنية ، لما ينالونه من الأغراض الدنيوية ، وأما الآن فقد حصل الامتحان فى الثلاث ، وبدت أمور لم يسمع بها سامع ، فالله يحسن المخرج . ويضيق السطر عما فى الصدر ، والسلام على سيدنا السيد الحسن ومن أردتم له السلام من ساداتنا ، انتهى كلام المعلم الشيخ عبد الله بن سعد بن سمير .

فيكفى ما فى هذا الكتاب ، لذوى الألباب ، والحامل لنا معاشر الخلق على اقتحام هذه المسالك ، التى أدتنا إلى المهالك ، والتلف والكلف ، هو ترك ومخالفة ما كان عليه من سلف لنا من السلف ، من السير المرضية والأفعال الحميدة ، والأخلاق والأقوال والأعمال السديدة ، علماً وعملاً وطاعة وعبادة ، وورعاً وتقوى وعفة

وزهادة ، إلى غير ذلك مما يطول ذكره ، ويتعذر حصره ، مما اشتهر عنه وظهر ،ودون فيما لهم من كتب السير كالمشرع ، والبرقة ، والعقد ، والغرر .

إن كنت تجهلها فانظر تراجمهم   فكل سفر بأوصاف الكرام ملى
لاسيما مشرع مع شرح عينية   وبرقة الحبر مولانا الإمام على
وجوهر لخطيب وكذا غرر   فكم حوت نخبا جلت عن المثل

ولقد عكسنا القضية التى كان عليها أسلافنا العلوية ، ومحونا ما ساروا عليه من السير السوية ، بالميل إلى الدنيا الدنية ، ومحبتها وإيثارها على الآخرة التى هى خير وأبقى بالسعى والسفر لها والكدح عليها بالحط والترحال ، إلى مكان سحيق من المحال ، بقطع البرارى والبحار ، وجوب المفاوز والقفار ، شقة بعد شقة ، مع مكابدة ومشقة ، وفى المثل عن بعض الصلحاء الأخيار ، أحقر الناس من ركب الأخطار ، فى حقير الأوطار ، فيا لذلك من سفه واغترار ، وحماقة وإضاعة ، إنفاق العمر وذهابه فى غير قربة وطاعة ، واعلموا أيها الإخوان ، حمانا الله وإياكم من البلايا والأحزان ، والمحن والعذاب ، بدار الدنيا ودار المآب ، أن أعظم الدواعى والأسباب ، الداعية والملجئة إلى هذا الباب ، هو عموم الجهل وشموله غالب الناس ، وكبر النفوس استحكام العوائد فى مأكل ومشرب ولباس ، من أكثر الناس ، عكس ما عليه أئمتنا الأكياس ، وكثرة العوائد

رسخت ومحت ما كان من رسوم الخير وتكلفت المفقود ، ولم تكتف بالموجود ، وقعت فى الأمور القبيحة المستهجنة ، ونفرت من الأفعال المندوبة المستحسنة .

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأجسام

القناعة والزهادة مجلبة لصلاح المعاش
وصفاء الخاطر والجأش

ومعلوم أنه لا يصفو العيش عن المكدرات والمنغصات ، والمحن والأفكار ، إلا مع اللطف والرضاء والقناعة ، والاقتصاد ، فى كل مطلوب ومحبوب ، ومراد ، فقد ورد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والآثار المروية ، ما يكفى كلَّ ذى عقل وروية ، وذوى النفوس الأبية ، قال الله تعالى : ﴿**كلوا واشربوا ولا تسرفوا**﴾ وقال تعالى : ﴿ **ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا**﴾ وقال سبحانه وتعالى : ﴿**زين للناس حب الشهوات من النساء**﴾ الآية إلى قوله : ﴿ **ذلك متاع الحياة الدنيا** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **أذهبتم طيباتِكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها** ﴾ وقال تعالى : ﴿**إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد**﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿ **وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**﴾ وقال النبى ﷺ : « من بذّر أفقره الله ومن اقتصد أغناه الله ومن أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله » وقال « التدبير نصف المعيشة » وقال ﷺ : « طوبى لمن هُدى إلى الإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به » وقال عليه الصلاة والسلام : « ما من أحد غنيٍّ أو فقير إلَّا وَدَّ يوم القيامة أنه أوتى قوتاً كفافاً فى الدنيا » وروى أن نبى الله موسى سأل ربه : أيُّ عبادك أغنى ؟ فقال له :

أقنعهم بما أعطيته ، وقال رسول الله ﷺ : « إذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز ماء وعلى الدنيا الدمار » وقال : « يا أبا هريرة كن ورعاً تكن أعبدَ الناس وكن قنعاً تكن أزهد الناس » ومن الآثار قال عمر رضى الله عنه : الطمع فقر واليأس غنى وإن من أيِسَ مما فى أيدى الناس استغنى عنهم . وقد سئل حكيم: ما الغنى ؟ فقال : ترك تمنّيك ، ورضاك بما يكفيك ، وينشد :

العيش ساعات تمر وخطوب أيام تكر
فاقنع بعيشك ترضه واقهر هواك وأنت حر
فلرب حتفٍ ساقه ذهب وياقوتٌ ودر

وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله ، ويقول من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد ، وقال ابن مسعود : ما من يوم إلا وملك ينادى : قليل يكفيك ، خير من كثير يطغيك . وقال سميط بن عجلان : إنما بطنك يا ابن آدم شبر فى شبر وفتر فى فتر فلِمَ يدخلك النار . وقيل لحكيم: ما مالك ؟ قال: التجمل فى الظاهر ، والقصد فى الباطن ، واليأس عما فى أيدى الناس . وروى عن الله فى بعض كتبه المنزلة : يا ابن آدم ، لو كانت لدنيا كلُّها لك ، لم يكن لك منها إلا القوت ، فإذا أنا أعطيتك منها القوت ، وجعلت حسابها على غيرك ، فأنا إليك محسن . وقال بعض الحكماء : وجدت أطول الناس غماً الحسود ، وأهنأهم عيشاً القنوع . وكان أبو إسحاق الشيرازى رضى الله عنه ، يدرس فى الحرم المكى ، ثم بعد انقضاء الدرس يذهب إلى

الفوال ، فيأخذ قليل فول وخبز يابس ، فيأكل ذلك ويشرب من زمزم ، وينشد :

مــــاء وخـــبـــز وظـــل هـــذا الــنــعيم الأجـــل
جـــحـــدت نـــعـــمـــة ربى إن قـــلـــت إنى مـــقـــل

وقد ذيلت على الأبيات لما أعجبتنى . وعن إمامنا الشافعى رضى الله عنه وكان عظيمَ الشأن فى القناعة ، وكان فى ابتداء أمره يكتب المذهب فى العظام ، من عدم البياض لديه .

اقسم بـــالله لـــرضخ الـــنوى والشربُ لـــلـــمـــاء من المالـح
أهون للإنســـان من عـــرضـــه ومن سؤال السـافل الكـالـح

وقال أيضاً :

ألا يا نفس إن ترضى بقوت فـأنت عـزيـزة أبـدا غـنـيـة
دعى عـنك المطامع والأمانى فـكـم أمـنـية جلبت منيّة

وقد عجّزت هذه الأبيات وصدرتها بما هو مثبوت فى ديوان الفقير ، فلقد أسمع النداء داعى الفلاح والهدى ، فطوبى لمن هُدِى فاهتدى ، واجتنب الزيغ والردى ، فيكفى هذا من ألقى السمع وهو شهيد ، لا من غطّى عليه هواه وشيطانه المريد ، وطبع على قلبه وقفل بالقفل الشديد ، نعوذ بالله من درك الشقاء ، وسوء القضاء .

إن المواعظ لا تغنى أسير هوى مقفّل القلب فى حيْدٍ عن السنن

وقال آخر :

وإذا البينات لم تغن شيئاً فالتماس الهدى بهن عناء

والحق واضح لا ريب فيه ولا إشكال ، وما بعد الحق إلا الضلال ، فمن أراد الله توفيقه من عباده ، أيقظه من سِنَةِ رقاده ، ورزقه الاستعداد لمعادِه .

هذا وأصل الرضاء ورأسه ، هو القناعة بما قسم الله للعبد ، والرضاء بما أقامه فيه من هو أعرف بمصالح عباده ، فمن قنع ورضى انشرح قلبه ، ونشط بدنه ، وصفا لبه ، ورضى عنه سيده وربه ، وسلم من الدخول ، فى ورطات الفضول ، والشبه والحرام ، واقتحام الآثام ، وعاش بين الناس حميد القدر والسعى والشأن ، موفر الحظ من الزهد واليقين والإيمان ، كما قال سيدنا عبد الله بن علوى الحداد فى بعض ماله من الإنشاد :

إن القناعة كنز ليس بالفانى فاغنم هديت أخيِّى عيشها الهانى
وعش قنوعاً بلا حرص ولا طمع تعش حميداً رفيع القدر والشان

نصيحة وتذكير ووصية
للكبير والصغير

واعلم أن أكبر المصائب وأعظمها وأجلها ، ظهور هذه العوائد ، وسماعها ورسوخها عند الخاص والعام ، من غالب الناس ، إلا من حفظ الله وعصم ، وقليل ما هم ، وقد اتسع فيه الخرق جداً ، ولحق الناس من الغم والكرب واقتحام الأهوال والغربة ، ومقاساة الأسفار والنصب ، فخليت الأوطان ، ممن فيها من السكان ، فلقد أرملوا النسوان وأيتموا الولدان ، فصاروا بأرض الكفر والنكر والطغيان ، فالله المستعان وألجأهَمْ ذلك أيضا إلى الاستدانة من أهل الحرام فمن هنا اختلطت الأمور وتخبطت ، وفسدت الأعمال وحبطت ، وتغيرت الأحوال وتنكرت الأمور ، وكثرت الفتن والشرور ، ووقع الناس فى فعل المحذور ، وترك المأمور ، وجارت الرعاة على الرعية ، وعمت المحنة والبلية ، فحينئذٍ عنّ لنا أن نذكر ما يحسن ذكره من التذكير ، للكبير منا والصغير ، وأهل العرف والتقصير ، وذوى القصور والتقصير ، الأقربون أولى بالمعروف ، فأقول لنفسى ومن كان قابلاً للنصح من أبناء جنسى .

قال الله تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ وقال لرسوله الأمين : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً** ﴾ وقال تعالى :

﴿ **وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى** ﴾ وقال ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » وورد : أول ما يتعلق بالرجل أهله وأولاده ، يقولون أوقفه لنا يارب نقتص منه فإنه لم يعلمنا ما أوجبتَ علينا من فرائضك وحقوقك الواجبة . فالوصية لى ولمن ذكرت ، ومن إليه أشرت ، بتقوى الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد التى هى الشأن الأكبر ، والكبريت الأحمر ، والحبل الذى ما له انفصام ، والعروة التى ما لها انثلام ، من إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام ، والإقرار بالربوبية للواحد القهار ، وغير ذلك من كل ما يقرب إلى الله من المسنون والمندوب ، والمطلوب والمرغوب ، واعلموا أيها الإخوان ، أصلح الله لنا ولكم كل شأن ، وخلصنا وإياكم من شرور الأنفس الشحيحة ، إن الله خلقكم ثم صوركم ثم رزقكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ، ما خلقكم للأكل والشرب والترفّهات ، بل لتعبدوه وتتقربوا إليه بفعل الطاعات ، وترك المحرمات ، فإنى وإياكم عن الآخرة غافلون ، وعلى الدنيا متكالبون ، وفى حبها منهمكون ، وبعراها متعلقون ، عمرتموها عمارةً أكيدة ، وشيدتموها قصوراً مشيدة ، ونسيتم المعاد ، وغفلتم عن الزاد ، مع علمكم بأن الدنيا متروكة ، والآخرة سبيل مسلوكة ، وإن الموت قريب ، والله عليكم رقيب ، وإن الحساب عسير ، والناقد بصير ، وبأفعالكم وأقوالكم عليم خبير ، وإن الحرص عناء ، والقناعة غنى ، وإن الحيل محتالة ، وإن

الكبر ضلالة ، وإن الحرام ذم ، والشبهة ندم ، وإن من لم ينصف من نفسه ، انتصف الله منه بشدة بأسه ، عند دخول حبسه ، وحلول رمسه ، والخلوّ بنفسه ، (**يوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ، يا ويلتا ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلاً**) يوم كشف السرائر ، وإظهار مافى الضمائر. واعلموا أيها الإخوان ممن كانوا على الدين أعواناً أن إعزاز الحق لعباده فى هذه الدار ، يكون بالعمل فيها لدار القرار ، وترك الدرهم والدينار ، الذين آخرهم بوار ونار ، والدأب فى طاعة الله بالليل والنهار ، والمواظبة على الدروس بالعشى والإبكار ، والتطلع على المعارف واللطائف والإسرار ، فهذا طريق ومسلكُ سلفنا الأخيار ، لا مهيع ومنهج أهل هذه الأعصار ، من التنعم والتلذذ بملاذ هذه الدار ، من التنافس والملابس مما هو فى الحقيقة أقذار ، وجيفة مستحيلة عند ذوى البصائر والأبصار ، الذين ملأ الله بصائرهم وأبصارهم بالأنوار ، وقد قال سيدنا الحداد فيما له من الإنشاد :

أما إن هذا الدهر قد ضل أهله … همومهم فى لذة الفرج والأكل
وفى جمع مال خوف فقر فأصبحوا … وقد لبسو قمصاً من الجبن والبخل

إلى أن قال فى وصف الأسلاف من السادة الأشراف والمشائخ العراف :

وقد درج الأسلاف من قبل هؤلاء … وهمتهم نيل المكارم والفضل
لقد رفضوا الدنيا الغرور وما سعوا … لها والذى يأتى يُبادر بالبذل

فقيرهم حرّ وذو المال منفق　　رجاء ثواب الله فى صالح السبل
لباسهم التقوى وسيماهم الحيا　　وقصدهم الرحمن فى القول والفعل
مقالهم صدق وأفعالهم هدى　　وإسرارهم منزوعة الغش والغل
خضوع لمولاهم قنوت لوجهه　　مثول له سبحانه جل عن مثل

فإعزاز المولى لعباده يكون بالقناعة ، والعفاف والطاعة والعبادة ، مع كف النفس عن الاستشراف ، والرضاء من الدنيا بالكفاف ، فإن الذل فى الطمع والتشوف إلى المخلوقين ، والخرق والتبذير والإسراف هلاك الدين ، كما أن ذلك مشاهد بالعيان ، معلوم لدى كل إنسان ، خصوصاً هذا الزمان ، الذى عمت فيه القطيعة والحرمان ، وانقطع التودّد والإحسان ، فإذا كان العز والغنى فى القناعة ، وبها يستريح القلب وينشط للطاعة ، وبها تطيب الأوقات ، وتحصل الدرجات ، وتكتسب العلوم والمعارف ، وتنزل المواهب واللطائف ، فعلام العدولُ عنها ، والتباعد منها ، مع أنها طريقة أهلنا الماضين ، وديدن وحرفة سلفنا السابقين ، فحكاياتهم فيها معلومة ، وسيرهم فى الطروس مرقومة ، وحقيقتها سيرة جدنا المختار ، وصحابته الأخيار ، وآله الأطهار ، من قديم الأعصار ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يلبس ما وجد ، ويأكل ما وجد ، ولا يتكلف ما فقد ، وقد مات عليه السلام وما شبع من خبز البر ثلاثاً متوالية من الأيام ، وقد حكى لى من أثق به من السادة أن السيد شيخان الجفرى صاحب (**كنز البراهين**) يقول إن عادة السلف رضى الله عنهم فراشهم السعف ، وأوانيهم الخزف ، والمرأة تخدم بيتها ، فلما تقنع سلفنا بقناع القناعة

والزهادة ، وجانبوا الرسم والعادة ، وتحلّوا بالعلوم والعبادة ، صلح لهم أمر المعاش ، وصفا منهم الخاطر والجأش ، وسلموا من مجالسة الأضداد والأوباش ، وانبجست منهم المعارف والعلوم ، وطابت منهم الأذهان والفهوم ، وابتسم بهم الوادى وازدهر وزاد وفاخر سائر البلاد ، كما قال سيدنا الحداد فيما له من الإنشاد :

قد كنت يا وادى الأنوار مشحون بالخير والأخيار
ما تحوى الشر والأشرار

إلى آخره .

وقال أيضاً :

بهم أصبح الوادى أنيساً وعامراً أميناً ومحمياً بغير حسام

فيا له من واد ويا له من ناد كيف لا وهو معشعش بالسادة الأمجاد ، الذين هدى الله بهم الحاضر والباد ، وعم نفعهم العباد والبلاد ، وكثر فيهم العلماء المحققون ، والأولياء المتقون ، والفقهاء المبرورون ، والذاكرون المذكّرون ، والصالحون والعابدون ، ومع ذلك فهم على ما ذكر مقيمون بالأوطان ، قاطنون بها وسكان ، بين الأهل والإخوان ، والقرابة والخلان ، لم تحدثهم أنفسهم بالأسفار ، واقتحام المهالك والأخطار ، بل حرفتهم وشأنهم مطالعة الأسفار ، بالليل والنهار ، وقيام الأسحار ، وإحياء المآثر والآثار ، واستخراج المعارف والأسرار ، اللهم إلا إن دعت حاجة ملجئة أو صلح بين اثنين إلى أن دهت المصيبة بالترحال ، من غالب الرجال ، إلى البعيد

من المحال ، وحدث ما حدث فى الأوقات القريبة من الانتكاس على أم الراس ، وانخرام القواعد والأساس ، عند سائر الناس ، من تحكم العوائد ، التى جرت إلى اقتحام الشدائد ، والوقوع فى ورطات المناكد ، ورفض القناعة باليد والساعد ، من الغائب والشاهد ، والقائم والقاعد ، وعم الأمر الدانى والقاص ، والعام والخاص ، وعز من ذلك المهرب والخلاص ، ولات حين مناص ، واتسع فى ذلك الخرق ، وتباعد الرّتق ، وتفاقم الأمر وعظم الخطر وصار كل فى الغربة والغفلة حيارى ، وترى الناس سكارى ، وما هم بسكارى ، فيا لها من مصيبة ما أبشعها ، وخطيئة ما أفظعها ، ومن ها هنا فسدت السرائر ، وخبثت الضمائر ، وعميت البصائر ، عن رؤية الحق الظاهر ، حتى ضلت الطريق ، وقصرت عن إدراك التحقيق ، فحجبت عن حياتها ولذاتها ، واستدامت فى أبعادها ومماتها ، فلهذا حل بها مثلاتها ، وترادفت عليها فتنتها وآفاتها ، فحينئذ لا مستيقظ ولا متذكر ، ولا متعظ ولا مفكر ، ولا راجع ولا ناجع ولا نازع ، نسأل الله السلامة ، من فتن دار الندامة ، والناجى من سلم ، ولا عاصم من أمر الله إلا من رحم ، والعاقل من عقل ، وثنى عزمه إلى الله عز وجل ، فعليكم أيها الراغبون فى سيرة من لكم من الأسلاف ، بالطاعة من القناعة بالكفاف ، والزهد والعفاف والإنصاف ، وطلب العلوم بإحياء مدارسها ، وعمارة مجالسها ، وجنى غرائسها ، والشكر والتعرف ، والإنصاف والتصوف ، فبالعزم والهمة يدرك ما فات ، وبالسير تقطع المسافات ، ومن جد وجد ، ونال ما قصد ، وما بين

ذلك والإنسان وما هو فيه إلا صلاح النية والقصد حالاً لا فيما بعد وشد مئزر العزم ، وترك التسويف والوهم ، وعمارة الأوقات ، وصرف نفائسها بالطاعات ، والتعرض للنفحات ، فى الحديث « إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها » . ومن سار على الدرب وصل ، وعلى كل خير حصل ، ومن أقبل على الله أقبل الله إليه ، ومن تاب تاب الله عليه ، ومن تقرب إلى الله شبراً تقرب الله منه ذراعاً ، ومن تقرب إليه ذراعاً ، تقرب الله منه باعا ، ومن أتاه يمشى أتاه هرولة ، ومن أقبل عليه قبله ، ومن سأله التوفيق وفقه ، ومن أعرض عنه خذله وعوقه ، ومن تشاغل عنه قطعه ، ومن كان مع الله كان الله معه . فالاغتنام الاغتنام الاهتمام الاهتمام فأيقظوا قلوبكم الغافلة ، وارفعوا هممكم السافلة ، المائلة إلى العاجلة ، التاركة للآجلة ، وأنعشوا هممكم وعزائمكم المماطلة ، واتركوا أمانيكم الباطلة .

إلى كم تمادى فى غرور وغفلة وكم هكذا نوم إلى غير يقظة
لقد ضاع عمر ساعة منه تشترى بملء السما والأرض أيةَ ضيعة

غيـــره

إلى متى أنت باللذات مشغول وغالب العمر قد ولى أباطيل

فيجد العاملون ما عملوا ، ويحصد الزارعون ما زرعوا ، فشمروا واغتنموا تربحوا أو تسلموا ، فقد بلغ الضياع والتفريط إلى حده الأقصى فعسى أن يرجع إلى ضده ، وقد تدرك الهفوات بالحسنات ،

وإن الحسنات يذهبن السيئات ، فالاقتصاد أو القناعة فرض بعد الفرض ، لمن قصد التعفف وصون العرض ، عن ابتذالها ، وإراقة مائهما ، لأبناء الزمان ، القساة اللئام ، الذين عليهم الشح مثل القتام ، فدنياهم عندهم عجلهم المعبود ، وبغيتهم والمقصود ، وورده‍م المورود ، فهم ككلاب على فريسة ، وذى جوع على هريسة ، فالبعد منهم سعد ، وعدم الحاجة إليهم زهد .

كن واثقاً بالله مستغنياً عن كل من تدرى من الناس
فحاجة العبد إلى مثله ذل من الكعب إلى الراس

وقال غيره

وما شيءٌ بأثقل وهو خفٌّ على الأعناق من منن الرجال
فلا تفرح بشيء تشتريه بوجهك إنه بالوجه غالى

وقال غيره

وإذا السؤال مع النوال وَزَنْتَهُ رجح السؤال وخف كل نوال
فإذا رضيت ببذل وجهك يا فتى فابذله للمتكرم المفضال

وإذا كانت المنة من الاسترقاق ، فأى حر يرضى بالقيد بعد الإطلاق ، فمن جعله الله مطلقاً ، كيف يجعل نفسه موثقاً .

بلوت الناس قرناً بعد قرن فلم أر غير ختال وقال
وذقت مرارة الأشياء طراً فما شيء أمر من السؤال

وفى وصية سيدنا على بن أبي طالب رضى الله عنه عند انصرافه عن صفين : يا بنى إن استطعت أن لا يكون بينك وبين ذى مال حاجة فافعل فإنك مدرك قسمك ، وآخذ سهمك ، فإن اليسير من الله أكرم وأعظم من الكثير من خلقه ، وإن كان كل منه وما يعقلها إلا العالمون ، كلا سيعلمون ، ثم كلا سيعلمون . ولا شك أنه متى قنع الإنسان استراح ، وظهر على أسارير وجهه النور ولاح ، ودخل وخرج فى أموره بلا جناح ، وأتته المواهب اللدنية ، والعطايا الربانية ، والمنح السماوية الرحمانية ، والنفحات والنظرات الإلّهية ، فتسكب هواطلها أولاً على أراضى قلبه ، فتعمها وتغمرها فتحيا وتعشب بها أغصان المحبة ، والشوق والتوق ، فتغرد بلابل الأفراح على دوحها ، فتشكر وتذكر ، وتغيب وتحضر ، ثم ثانياً على هيكله وأجزائه فتطيب له الحياة فيبقى للحق بالحق مع الحق ، ويرى صاحبها مصادر الأمور ومواردها منه وإليه ، فيطرح جميع أموره عليه ، فهذه هى العطايا والمنح الحسية ، ثم تعقبها الهبات الغيبية ، وهى ثمرة ما قبلها ، فتترادف الهبات ، وتكثر البركات ، وتعم منه سائر الجهات ، فتوزع له الأوقات ، وتقضى له الحاجات ، ويدرك ما فات ، ويستريح القلب وينشط البدن ، وتسرى عنه الأكدار والمحن ، والبغضاء والإحن ، ويروق العيش وتنشرح الصدور ، وتمتلىء فرحاً وسروراً ، وبهجة ونوراً ، وهذا مشاهد بالعيان ، عند من له أعيان ، وسمع بالآذان ، ومعرفة وإيقان ، ونور من الرحمن ، مقذوف فى الجنان ، لا من عميت منه البصائر والأبصار ، فلا يرى

الشمس فى رابعة النهار ، فهو غبى جاهل ، وناكب عن الصراط ومائل ، اللهم اهدنا بهداك ، ولا تولنا ولياً سواك ، واجعلنا ممن يخافك ويخشاك ، وأعذنا من شرور الأنفس ونزعات الشياطين ، فقد خبط وخلط علينا وقادنا بحبائله ، اللهم إنك سلطت علينا عدواً بصيراً بعيوبنا . إلخ الدعاء .

ذم الدَّين إلا لضرورة شرعية والتحذير من استحلال الرشاوى وأكل أموال الناس بالباطل

وقال الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان فى كتابه (**الذخائر الفاخرة**) فى ذم الدين ، وما ورد عن النبى ﷺ فيه قال : وأشر ما يوقع الناس فى الدين ، العوائد التى تنافس الناس فيها ، يحيون ويموتون وعليهم من الذنوب وتبعاتها ما يورث لهم فى الدنيا الهم والغم ، والمهانة والذل ، وفى الآخرة الخزى العظيم ، والعذاب الأليم . ولهذا قال الشعرانى نفع الله به : أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن لا نستدين من أصحابنا إلا لضرورة شرعية ، فلا نستدين لشهوة مأكل أو ملبس أو حج نفلا ، أو توسع فى نفقة عيال أو ضيوف أو بناء دار أو زراعة بستان ونحو ذلك مما لا ضرورة إليه . وهذا العهد يتعين العمل به على من اشتهر بكرم فى هذا الزمان ، ويجب عليه سد بابه وإلا صار عن قريب فى الحبس ، ثم يجىء الذين يجتمعون على سماطه يأكلون ثم يشهدون بتفليسه ويتفرقون عنه كأنهم لم يعرفوه قط . ثم إن السالك لا بد له من شيخ يسلّكه حتى يخرجه عن حكم الطبع عليه بحيث يصير يراعى أوامر ربه فى الإنفاق دون الخلق ، حتى لو جاء أمير أخرج له كسرة وبصلة ولا يستحى من ذلك ، ومن لم يسلك كما ذكرنا لازمه الدين وإطعام الناس رياء وسمعة ، ولولا شدة الدين فى الدنيا والآخرة ما شدد الشارع فيه .

وروى الحاكم والنسائى أن رسول الله ﷺ كان يقول « اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والدين » فقال رجل : أيعدل الدين بالكفر ؟ قال : نعم . وفى جزء أورد الشيخ حسين بن عبد الشكور الطائفى فى كتابه المسمى **بالهداية السنيّة** أن الدين يحاسب فى الدانق الواحد بستمائة صلاة مقبولة ، وأين المقبولة فى صلاتنا ، وإذا كان هذا فى الدانق وهو نزر يسير ، فما حكم المئات والألوف من النقود الثقيلة ، التى الواحد منها يعادل حساب مئات من الدوانق ، وربما أن هذا فى حال ما ينفق ما يأخذه من الدين فى مهمات وضروريات ، فكيف حال من يجمع أموال المسلمين وينفقها فى شهوات ومعاصى ورعونات ، تؤذن بسفه المشتغل بها والعامل عليها كما أن الولاة والقضاة لا يهمهم السعى فى جلب المصالح للمسلمين ودرء المفاسد عنهم ، الذى هو وظيفتهم واللازم عليهم ، ويخاطبون به على لسان الشارع ﷺ فى الدنيا ، ويعاقبون على تركه فى الأخرى ، بل عكسوا القضية ، وجعلوا همهم أكل أموال الناس بالباطل ، واستخراجها بحيل يوهمون أنفسهم وغيرها أنها طرق إلى جواز ما أخذوه بوجه غصب محض أو حيلة ، وقد شاع منهم استحلال الرّشاوى ، وتجاهروا بها ونصبوا لها أعواناً كالدلالين فى البضاعة ، وقد سلطهم الله على من فى محل ولايتهم انتقاماً منه تعالى للرعايا بسبب خبث مكاسبهم ، ومطامعهم ، ومنعهم حقوق الله وحقوق عباده ، كالزكاة وعقوق الوالدين ، وقطيعة الأرحام ، والقرابات والجيران ، والفقراء والمساكين ، من معروفهم وصِلاتهم ، ولا ينال من أموالهم إلا الأشرار والأراذل ، الذين يمدحونهم إذا حضروا ويذمونهم إذا غابوا .

وقال فى موضع آخر : ونية المربّى للصبى تؤثر فيه ، وكلما روعى من الخير كان منقدحاً فيه ، وسار فى أخلاقه وآدابه بالنية ثم بالفعل ، فإن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال «كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» وإذا كانت نية الأبوين والمربّى قاصرة علِى أن يكون عوناً لهما على الدنيا ومتاعها وشهواتها مع الإعراض عن المقاصد الدينية سرت نيتهما وفعلهما فيه ، وتربى على الجفاء ، وشراسة الطبع ، وسوء الأخلاق ، وساءت عاقبته على والديه بالعقوق ، فيسعى فى كل ما يخالفهما وتضعف به استقامة ما لهما ، وإن كان لهما مال أضاعه فى حياتهما ، أو بعد وفاتهما فى الشهوات والمعاصى ، ووجوه البغى والشر كما هو مشاهد فى أبناء هذا الزمان ، فإنهم أول ما يربّون أولادهم على الأخلاق السيئة القبيحة ، ويهملونهم إهمال البهائم فى المرعى ، يأكلون ويشربون وتمر أوقاتهم فى اللهو واللعب ، متفرغين لذلك بتفريغ أهليهم لهم . فهذه حالة من ضعُف إيمانه فلم يروض نفسه وأولاده بالصبر على حقائق الإسلام والدين ، بل تطاولت نفسه إلى حب التكاثر والتفاخر بالدنيا والرياسة فيها ، ومضت أكثر أعمارهم فى جمعها ، فإذا نالوا شيئاً بأوجه غير مرضية ، ومتاعب استروحوا بها أهل الشقوة ، وصرفوها فى رعونات الأهل والعيال ، والمنافسات التى رغب فيها أولئك الجهال ، ونسوا

بها مولاهم ذا الجلال ، فأنساهم أنفسهم ، وتركهم فى غمرة ، المراء على ما عاش عليه . وقال فى موضع آخر : من المستقبح المفضى إلى فساد أحوال الأزواج تقليد النساء فيما يلتمسنه ويطلبنه من الأزواج وغيرهم ، ويتحكمن عليهم فيه ، فيوقعنهم فى الهلاك الصادق على هلاك الدين والدنيا ، كما ورد : يكون هلاك الرجل فى آخر الزمان على يد أبويه ، فإن لم يكن له أبوان فعلى يد زوجته وأولاده ، يعيرونه بالفقر حتى يدخل مداخل السوء . كما قال الحسن البصرى : والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهواه ، إلا كان مآله فى النار . ولما سئل رسول الله ﷺ فقيل له : إذا أنت مت فظهر الأرض خير لنا أم بطنها ، فقال عليه الصلاة والسلام : « إذا كان أمراؤكم خياركم ، وأغنياؤكم سمحاءكم ، وأمركم شورى بينكم ، فظهر الأرض خير لكم . وإذا كان أمراؤكم شراركم ، وأغنياؤكم بخلاءكم ، وأمركم إلى نسائكم ، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها » وقد فشا هذا الأمر ووقع حسبما أخبر النبى ﷺ ، فقد ملك الأمر النساء ، واستولوا على الأحوال والأموال ، وأضاعوها فى المحال ، من كل ما يسخط الكبير المتعال ، وترأس علنا الجهال والأنذال ، ومن لا يعرف حق الله ، ولا يتفكر فى عقباه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

قال سيدى عبد الله بن علوى الحداد : فسير السلف مذكورة فى كتب السير والتواريخ ، فليطالعها من أراد ، وقصد معرفة ما كان عليه السلف الصالحون ، من الصحابة والتابعين ، والتابعين لهم بإحسان ممن آثر الآخرة على الدنيا ، وقنع باليسير منها ولم يغتر

بزخارفها ، ولم يقصد التمتع بشهواتها ، مع القدرة على ذلك والتمكن من الحلال . وقال أيضاً : اعلم أن الورع مهم ، ولا طريق إلى الله بدونه ، ولا يستطيعه إلا من وطن نفسه على الصبر بالقلة ، وراضها حتى تقنع بالميسور من غير التفات إلى الشهوات ، ولا تعريج على اللذات ، ولا ميل إلى الراحات ، هذا حكم من أراد الوصول إلى رفيع الدرجات ، ومجاورة الحبيب فى فسيح الجنات . ومن لعبت به الأهواء ، ومالت به زينة الدنيا ، فلا كلام لنا معه ، إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون . ومن الظلم مخالفة السلف الصالح الذين سلكوا خير سبيل فى أمور دينهم ودنياهم .

النهى عن المبالغة فى
التزين فى الثياب والأثاث والدار

وقال الشيخ عبد الله باسودان : والحاصل أن التنافس والتكاثر فى البناء ، والرفيع من الفرش والحلى واللباس ، والفخر بالأنساب وبالدنيا والرياسة ، وزيادة الحشمة والمنزلة ونحو ذلك ، كل ذلك من الدنيا ومن المهلكات العظيمة ، الناشئة فى هذه الأزمنة ، السارية فى جميع الناس ، شريفهم ووضيعهم ، وذلك أن الفقير يطلب مضاهاة الغنى ، والدنىء يضاهى الرفيع ، فأدى ذلك بجمعهم إلى الاستنكاف ، وعدم قبول الحق من أهله ، ومقابلة النفوس ، وتحكم هذا الحال عليهم ، وظهر فى زيهم وعلى ألسنتهم ، فأورثهم التنافس فى الحلى للنساء واللباس والفراش وطول الغفلة عن الله وعن العمل بأوامره ونواهيه .

قال الإمام الغزالى فى **الإحياء** : ومن أبواب الشيطان العظيمة حب التزين فى الثياب والأثاث والدار ، فإن الشيطان إذا رأى ذلك غالباً على قلب إنسان ، باض فيه وفرخ ، فلا يزال يدعوه إلى عمارة الدار ، وتزيين سقفها وحيطانها وتوسيع أبنيتها ، ويدعوه إلى التزين بالثّياب والدواب ، ويمر فيها طول عمره ، فإذا أوقعه فى ذلك استغنى عن المتابعة ، فيموت وهو فى سبيل الشيطان . فانتبه أيها المؤمن الغافل

إن كنت مؤمناً بالله مصدقاً بوعده ووعيده ، وارحم نفسك ولا تكن ممن رغب عن ملة إبراهيم وسفه نفسه فتندم ، وتندم أيضا على أن صرفت أنفاسك التى هى جواهر عمرك ، ونفائس أوقاتك إلى رضاء الزوجات والأبناء والبنات ، والاشتغال من أجلهم بالضيعات ، وأنواع التجارات ، وظلمت نفسك بصرف ما جمعته فى شهواتهم ، فإن لهم لذته وعليك تبعته ، وإذا خلفته بعدك لهم استعانوا به على معصية الله تعالى ، كما هو الأكثر والأغلب من أحوال أهل هذا الزمان ، فتكون سبباً فى جريان الوزر عليهم والإثم ، كما فى الحديث ، والسعيد من مات وماتت معه سيئاته . فاقتد أيها الأخ واتبع نبيك محمداً عليه الصلاة والسلام ، وأولى العزم من آبائه وإخوانه من الأنبياء والمرسلين ، فى زهدهم فى الدنيا وعدم الاشتغال بها ، وصبرهم على جوعهم وبلائها ومحنها ، وإذا أتتهم السعة شكروا ، وإذا توجهت إليهم البلايا والضر صبروا . وقد كان ﷺ إذا حزن قال : اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ، وإذا فرح قال كذلك ، إشارة إلى أن الحياة الدنيا منقضية زائلة عما قليل ، متاعها قليل . وعمرها قصير ، وحزنها وسرورها متضادان متعاقبان ، حتى ينقضى العمر ، ويحضر الأجل ، وعند حضورها إما سرور دائم باق لا يتناهى أبدا سرمداً فى جوار الله تعالى لا يتغير ولا يتبدل ولا يعقبه حزن ولا ضجر ولا ملل كما وعد بذلك عباده الصالحين ، وإما حزن دائم ، والعياذ بالله ، وعذاب شديد وبلاء جديد .

هذا ولما كان النبى ﷺ من أعرف من عرف الدنيا وزهد فيها ،

وكان المجلى فى هذا الميدان ، وإمام المتوجهين إليه من الأنبياء الكرام ، والبررة الأعلام ، من الصحابة وتابعيهم على الكمال فالزهد قصر أمله ، وحسن عمله ، فلم يسبقه سابق ، ولم يلحقه لاحق ، فإنه ﷺ كان يقول : والذى نفسى بيده ما رفعت قدمى فظننت أنى أضعها ، ولا رفعت لقمة فظننت أنى أسيغها حتى أغص بها . ويكفى فى ذلك تقلّله من الدنيا مما نقل من حاله ﷺ وإعراضه عن زهرتها ، وقد سيقت إليه بحذافيرها ، وترادفت عليه فتوحاتها . وحين توفى صلى الله عليه وآله وسلم ودرعه مرهون عند يهودى فى نفقة عياله ، وهو يدعو ويقول : اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعا ، وما شبع من خبز شعير يومين متواليين ، ولو شاء لأعطاه الله ما لم يخطر ببال . وفى رواية ما شبع رسول الله ﷺ من خبز بر حتى لقى الله تعالى . وقالت عائشة رضى الله عنها : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً .

وفى حديث عمرو بن الحارث : ما ترك إلا سلاحه وبغلته وأرضاً جعلها صدقة ، ولقد مات وما فى بيته شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير فى رف لى وقال إنى عرض علىّ أن تصير لى بطحاء مكة ذهباً فقلت : لا يارب أجوع يوما ، وأشبع يوماً ، فأما اليوم الذى أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك ، وأما اليوم الذى أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك .

وفى حديث آخر أن جبريل عليه السلام نزل عليه فقال له :

يا محمد إن ربك يقريك السلام ويقول لك أتحب أن أجعل لك هذه الجبال ذهباً وتكون معك حيثما كنت ، فأطرق ساعة ثم قال : يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له ، فقال له جبريل : ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت .

وعن عائشة رضى الله عنها : إنّا كنا آل محمد لنمكث شهراً لا نستوقد ناراً إن هو إلا التمر والماء . قال ابن عباس رضى الله عنه : كان رسول الله ﷺ يبيت هو وأهله الليالى المتتابعة طاوياً لا يجدون عشاء . وعن عائشة رضى الله عنها : إنما كان فراشه أدما حشوها ليف . وعن حفصة رضى الله عنها : كان فراش رسول الله ﷺ فى بيته نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة بأربع ، فلما أصبح قال : ما فرشتم لى الليلة فإن وطئته منعتنى صلاتى .

وفى رواية عن ابن مسعود رضى الله عنه : دخلت على رسول الله ﷺ وقد نام على حصير وقد أثر فى جنبه فقلت : يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء تجعله بينك وبين الحصير يقيك منه ، فقال : مالى وللدنيا ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها . وكان ينام أحياناً على سرير مربوط بشريط حتى يؤثر فى جنبه . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : لم يمتل جوف النبى ﷺ شبعاً قط ، ولم يبث شكوى إلى أحد ، وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى ، وإن كان ليظل جائعاً طول ليله فلا يمنعه صيام يومه ، ولو شاء سأل ربه جميع

كنوز الأرض وثمارها ، ورغد عيشها ، ولقد كنت أبكى رحمة له مما أرى به ، وأمسح على بطنه من الجوع ، وأقول : نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك ، فيقول : يا عائشة مالى وللدنيا إخوانى من أولى العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا ، فمضوا على حالهم ، فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم ، وأجزل ثوابهم ، فأجدنى أستحى إن ترفهت فى معيشتى أن يقصر بى غدا دونهم . وقد كانوا على مثل ما كان عليه ﷺ من الزهد فى الدنيا ، والكرم والسخاء وعدم الرغبة فيها ، كما هو معروف ومشهور عنهم ، وكذا تابعوهم بإحسان من الأولياء والعلماء العارفين . ومن بَعُد من هذا المقام الذى هو طريق سهل إلى الجنة فقد أخطأ طريقها . وجانب فريقها . وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : إن سرك اللحوق بى فيكفيك من الدنيا كزاد الرَّاكب ، وإياك ومجالسة الأغنياء ، ولا تستخلفى ثوباً حتى ترقعيه ، قال عروة : فما كانت عائشة تضع ثوباً حتى ترقعه وتنكسه أى تخيط أطرافه ، قال : ولقد جاءها من عند معاوية ثمانون ألف درهم فما أمسى عندها درهم ، فقالت جاريتها : فهلا اشتريتى لنا منه بدرهم لحماً ؟ فقالت : لو ذكرتينى لفعلت ، فزهده ﷺ وتواضعه ، وخوفه وسائر أوصافه الكريمة ، ونعوته العظيمة ، من كمال معرفته بالله ، ويلحق به فى أخلاقه أصحابه رضى الله عنهم ، فقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يجمع فى سماطه بين إدامين ، وكان فى قميصه أربع رقع بين كتفيه ،وكان إزاره مرقوعاً بقطعة من جراب ، وعدوا مرة فى ثوبة وقميصه أربع عشرة رقعة

أحدها من أديم أحمر ، وكان يحمل جراب الدقيق على ظهره للأرامل والأيتام ، فقال له بعضهم : دعنى أحمله عنك ، فقال : ومن يحمل عنى ذنوبى يوم القيامة ، وكان عثمان رضى الله عنه يخطب بالناس وعليه إزار عدنى غليظ ثمنه أربعة دراهم أو خمسة ، وكان يطعم الناس طعام الأمراء ، ويدخل بيته فيأكل الخل والزيت ، وكان على رضى الله عنه يرقع قميصه ويقول : إن لبس المرقع يخشع القلب ويقتدى به المؤمن ، وينشد هذه الأبيات :

حقيق بالتواضع من يموت ويكفى المرء من دنياه قوت
فما للمرء يصبح ذا هموم وحرص ليس يدركه النعوت
فيا هذا سترحل عن قريب إلى قوم كلامهم السكوت

وكان أبو هريرة يحمل حزمة الحطب على رأسه ، وهو يومئذ خليفة لمروان فى المدينة ، ويقول : وسعوا الطريق لأميركم .

وقد بلغ من زهد أويس القرنى رضى الله عنه وكان أفضل التابعين أنه يلتقط الكسر من المزابل فيغسلها ، ويأكل بعضها ويتصدق ببعض ، وله أحوال شريفة ، ضارب بذقنه إلى الأرض ، رام ببصره إلى موضع سجوده ، واضع يمينه على شماله ، له طمران من صوف يتزر بأحدهما ويرتدى بالآخر ، وقد وصفه ﷺ أنه خير التابعين . هذا وقد قال سيدنا عبد الله بن علوى الحداد : اعلم أن الورع مهم ، ولا طريق إلى الله بدونه ، ولا يستطيعه إلا من وطَّنَ نفسه على الصبر بالقلة وراضها ، حتى تقنع بالميسور من غير التفات إلى الشهوات ،

ولا تعريج على اللذات ، ولا ميل إلى الراحات ، هذا حكم من أراد الوصول إلى رفيع الدرجات ومجاورة الحبيب فى فسيح الجنات ، ومن لعبت به الأهواء ، ومالت به زينة الدنيا ، فلا كلام لنا معه إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يعملون .

وعن أم المؤمنين حفصة أنها قالت لأبيها أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه : ما عليك لو لبست ثوباً ألين من ثوبك ، وأكلت طعاماً غير هذا ، وقد فتح الله عليك الأرض وأوسع الرزق ، فقال : سأخاصمك إلى نفسك ، أما تعلمين ما كان يلقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من شدة العيش ، فما زال يذكرها حتى أبكاها ، ثم قال : قلت لك أن لى صاحبين سلكا طريقاً وإنى إن سلكت طريقاً غير طريقهما سُلِكَ بى غير طريقهما ، وإنى والله لأشركهما فى عيشهما الشديد لعلّى أدرك معهما عيشهما الرخى - يعنى بصاحبيه رسول الله ﷺ وأبى بكر الصديق .

ذكر أحوال السلف من
السادة آل أبى علوى

قال فى (**المشرع الروى فى مناقب بنى علوى**) اعلم أرشدنا الله وإياك إلى سواء السبيل ، وأوردنا مناهج التحقيق والسلسبيل ، أنه من أعظم العلوم نفعاً ، وأكثرها لخيرى الدنيا والآخرة جمعاً ، وأشدِّها فى حياة القلوب وقعا ، معرفة سير أولياء الله الصالحين الذين هم بأفعالهم وأقوالهم على الله دالُّون ، فيحصل بذلك حسن الظن بهم ومحبتهم الموصلةُ إلى أعلى الرتب لقوله ﷺ « المرء مع من أحب » وجاء من السلف الأولين ، أن الرحمة تنزل عند ذكر الصالحين ، وقد أوجب الله على عباده الصالحين أن يسألوا فى الصلاة التى هى عماد الدين ، أن يهديهم الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين ، والشهداء والصّالحين ، وأمر حبيبه ﷺ فى كتابه بالاقتداء بأحبابه ، وأخبره بفائدة أنباء رسله والاطلاع على أخبار الماضين من قبله فقال الله تعالى ﴿**وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك**﴾ ولذا قال سيد الطائفة الجنيد رحمه الله : الحكاياتُ جند من جنود الله تقوى بها قلوب المريدين ، وقال : التصديق بعلمنا هذا ولاية ، وإذا فاتتك المنة فى نفسك فلا يفوتك أن تصدق بها فى غيرك ، فإن لم يصبها وابل فطل ، ولا ريب عند ذوى العقل السليم ، أن طريق السنة هو الصراط المستقيم ، والمنهج القويم .

ثم تكلم فيما كان النبي عليه وأصحابه وتابعوهم إلى أن قال : ولقد كان سلفنا بنو علوى لهذه الطريقة سالكين ، وبعلمهم عاملين ، فلقد أنفقوا نفائس العمر الفاضل ، متباعدين عن العوارض والشواغل ، فى تتبع سنة النبي والعمل بها ، وكلما عمل إنسان بسنة رقّاة الله إلى أخرى لم يكن يعلمها . قال الجنيد : الحسنة بعد الحسنة ثوابُ الحسنة ، والسيئة بعد السيئة عقوبة السيئة ، فعملوا بواجب الخدمة على حسب الطاقة البشرية ، وسوابغ الإمدادات الربانية ، وأكثروا من العبادات ، وتركوا الشهوات ، وإذا جن الظلام ، قاموا على الأقدام ، وافترشوا وجوههم ، وجرت دموعهم ، وإذا كبر أحدهم طوى بساط المنام ، وتجنب مخالطة العوام ، إلا لحاجة أو ضرورة ، وإذا خالطهم لذلك كان على حذر من المخالفات ، وإذا مرض أحدهم ولم يعده صاحبه رأى له الفضلَ بذلك ، وإذا لم يجتمع بأحد فى يوم عدّه عيداً من الأعياد ، وكان بعضهم يخرج إلى الجبال يتعبد فيها ليلاً ونهاراً ، وبعضهم ليلاً ويصبح فى بيته كبائت فيه ، وبعضهم نهاراً ويأتى أهله ليلاً فلا يعرفه أولاده ، ومع ذلك يواظب على الجمعة والجماعة إلا لعذر شرعى ، وبعضهم يقطع نهاره فى التدريس والإفتاء ويفرق أوقاته فى جمع النفائس وقتاً وقتاً ، وإذا وقعت مشكلة تتبع كلام العلماء فيها واستقصى أمرها حتى يعطيها حقها ويرضاها ، فإن أشكل عليه أمرها توقف عن الإفتاء بها ، وإذا ظهر له الحق أنه على خلاف ما قاله وأفتى به ذهب إلى من أفتاه واعترف بالرجوع إلى الحق . وكان لهم اعتناء تام بكتب الغزالى ولا سيما الإحياء

والبسيط والوسيط والوجيز والخلاصة . وكان لهم اعتناء تام بالحديث ، وبلغ كثير منهم رتبةَ الحفظ . وكانوا يتدافعون الفتوى ، لشدة الورع والتقوى ، ويختارون من الأعمال أتعبها ، ومن الطاعات أصعبها ، ويجتهدون فى الخروج من الخلاف ، وأن تكون طاعتُهم مُجمعاً عليها ، إلى أن قال : وبما تقرر يعلم أن السادة بنى علوى حازوا أشرفَ النسب من جهاته الثلاث (**إحداها**) الانتماء إلى شجرة رسول الله ، فلا يعادله شيء ، (**الثانية**) الانتماء إلى العلماء فإنهم ورثة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، (**الثالثة**) الانتماء إلى أهل الخير والصلاح والتقوى . وكانوا يخفون العبادة خوفاً من الرياء ، وإذا تكلم أحدهم فى الوعظ أو غيره وخاف الرياء عدل إلى غيره مما لا يدخله ذلك ، وإذا طرقه البكاء فى قراءة أو تلاوة ، أو حديث أو وعظ ، صرفه إلى الشتم ، وإلى ذم نفسه فى الملأ ، ويكره أن يسأله غيره عن عمل عمله ، وأن يسأل غيره عن ذلك ، وإذا بلغه أن أحداً عزم على زيارته اعتذر إليه ، وإلا ذهب إليه بنفسه ، وإذا دخل عليه غفلة كره ذلك ، وكانوا رضى الله عنهم زاهدين فى الدنيا والرياسة فيها ، قانعين بالكفاف منها ، مطعماً وملبساً ومسكناً ، فلا يبنى إلا ما يضطر إليه ، ولا يقبل أحدهم من مال السلطان وأعوانه شيئاً ، ولو كان محتاجاً ، بل يكتفى بعضهم بكسرة من الحلال ، أو قطعة تمر منه ، فإن لم يجد طوى إلى أن يجدها من الحلال .

(**قلت**) وهذا فى أموال الملوك الذين كان لديهم بيت مال وليسوا كالملوك الذين جل الأموال التى بأيديهم حرام بل كلها فلا يجوز أخذ

شيء من أموالهم . وكان سادتنا العلويون رضى الله عنهم لا يفرحون بشيء أقبل من الدنيا ، ولا يحزنون على شيء أدبر منها ، وربما انشرح صدر أحدهم إذا صرفت عنه ، وكان أحدهم يأتى عليه الشهر والشهران ما يأكل إلا التمر ، ويعيش عمراً ما يطوى له ثوب ، ولا يأمر أهله بصنع طعام ، ولا مارس أحدهم ركوب الخيل ، ولا ذاق الأطعمة الفاخرة ، ولا لبس الملابس النفيسة ، ولا اعتاد الجلوس على الكراسى ، ولا السكنى فى القاعات المزخرفة ، اللهم إلا أن وجدت من حلال فربما استعمله بعضهم فى نادر الأوقات . وكانوا يكرهون ادخار القوت ، إيثاراً لفراغ اليد من الدنيا على إمساكها ، وقد يدخر بعضهم على اسم عائلته تأسِّيا بفعله ﷺ ، أو تسكيناً للاضطراب الذى يقع للنفس ، أو علم أنه رزقه بطريق الكشف ، ويقدم كل واحد منهم كسب الحلال عن سائر مهمّاته ، وينفق الطعام فى إطعام الجائع ، وكسوة العارى ، ووفاء الدين . وكان ينفق المال ولا يمسكه فى بدايته ، ولا يجمعه ولا يمنعه فى نهايته ، بل للإنفاق ، إذ الإنسان فى الطريق حكمه حكم الرضيع ، يحتاج إلى وضع صُبِر على الثدى عند الفطام ، فيكرهه ، فإذا كبر عافه ، فكذلك المنتهى ، يعاف الدنيا ، فيكون الكمال فى إمساكها ، ينفقها على مستحقيها ، وكان كل واحد يخدم الضيف بنفسه ، ويأكل مع خادمه وعبده ، ويحمل بضاعته من السوق ، ويصافح الغنى والفقير ، والكبير والصغير ، والشريف والوضيع ، ويسلم على كل من لقيه ، ولا يرى أن له حالاً عند الله ، ولو بلغ ما بلغ ، بل ربما يحسب

أنه يستحق العقوبة ، لما يشهد فيه من سوء الأدب بالنسبة لجناب الله ، وكلما ترقى فى المقامات رأى أنه أهونُ خلق الله تعالى ، منكسر القلب ، كمن قرب من السراج لشهود عظمة الله ، كل ذلك بعد التخلق بمحاسن الأخلاق ، والتضلع فى العلوم الباطنة والظاهرة ، فإذا رُؤى أحدُهم ذُكِرَ الله ، ورؤيتهم تحمل غيرهم على ذكر الله ، فكما أن النظر إليهم يدل على الحق فهو عبادة كما قيل :

وجوه عليها للقبول علامة ... وليس على كل الوجوه قبول
وجوه إذا ما أسفرت عن جمالها ... تخر على أعتابهن عقول

وقال سيدنا عبد الله الحداد :

فواحسرتى إن مت من قبل أن أرى ... وجوها عليها نور علم وخشية

إلى آخر القصيدة .

وقال آخر

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم ... مثل النجوم التى يسرى بها السارى

وذكر السيد أحمد بن حسن الحداد نقلاً عن (**الغرر**) أنه قال :
قال المؤلف بعد ما ذكر جملة من مناقب السادة آل أبى علوى رضى الله عنهم : فتيقن بقلبك وصافى عقيدتك ، أن الذى أذكره عنهم فى هذا الكتاب ، من جملة أفراد المشائخ القدوة ، والأعيان الكمل ، بدور الهداية وضيائها ، وشموسِ أنوار الحقيقة وتيجانها ، جمعوا بين الشريعة وحقائقها ، وشربوا من الحقيقة شرابها ، تجمعت لهم من

متفرقات العلوم ما لم يجتمع لغيرهم ، ولم يتفق لسواهم ، من كمال الشرف النبوى ، والعلم اللدنى ، والسر العرفانى ، مع كمال النزاهة ، والطهارة من أنواع البدع والحظوظ النفسانية ، مع كمال الاتباع للكتاب والسنة ، والاحتواء على المواريث المحمدية ، والأسرار الأحمدية ، فكم شُفى بالنظر إليهم من سقيم ، ولُقّح بسرهم من عقيم ، خيولُ هممهم لمن تعلق بهم أو اعتقدهم مسرجةٌ ملجمة ، ونيران سوء الظن بهم لمن اعترض عليهم ولم يحتفل بهم سموم مهلكة ، وسمعت بعض الناس المعتبرين يروى عن الشيخ الفقيه أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بافضل أنه قال : فحصت على أكثر الأشراف فى الآفاق ، وسألت عنهم الواردين إلى مكة أو المدينة ، وعن وصفهم ، فوصفوا لى وعرفونى أخبارهم ، فما وجدت على الاستقامة التامة وطريق الكتاب والسنة غير بنى علوى الحسينيين الحضرميين . وكان السيد عبد الرحمن بن على بن أبى بكر يقول : أدركت أكثر الماضين ما يحمم شارب أحدهم إلا وهو مكاشف ، وفى **الغرر** للسيد محمد بن على خرد قال : فسيدنا عبيد الله بن أحمد بن عيسى وذريته ، هم أشراف حسينيون سنيون ، عز مثلهم فى الناس ، لقول الإمام سفيان رحمه الله خمسة عزّوا ، أى قلّ وجودهم ، وذكر منهم الشريف السنى ، وطريق هؤلاء المذكورين سنية ، وأخلاقهم نبوية ، يعرف ذوو الإنصاف بديهة أنهم حقيقة سادة قادة أشراف ، ذوو إنصاف واتصاف . ومن كلام سيدنا عبد الله الحداد رضى الله عنه : ما عاد فى الزمان أحسن من طريق آل أبى علوى ، وقد أقر لهم

أهل اليمن حتى الزيدية مع بدعتهم ، وأهل الحرمين مع شرفهم ، وما بقيت المفاضلة إلا بين بعضهم بعضا ، فإن حصل لهم مدد من غيرهم فهو بواسطة أحد منهم . ومن كلامه رضى الله عنه قوله أن طريق السادة آل أبي علوى أقومُ الطرق وأعدلها ، وسيرتهم أحسن السير وأمثلها ، وأنهم على الطريقة المثلى والمهيع الأفيح ، والمشرع الأوضح ، والسبيل الأسلمِ الأصلح ، ولا ينبغى لخلفهم أن ينتهجوا غير المنهج الذى درج عليه أسلافهم ، ولا أن يميلوا عن طريقهم وسيرتهم باتباع غيرهم ، والانجرار بجره وإلقاء القياد إلى من يدّعى التسليك والتحكيم ، ممن يخالف ظاهرهُ سيرةَ آل أبي علوى وطريقَهم ؛ لأنها التى تشهد لصحتها الكتاب والسنة الكريمة ، والآثار المرضية ، وسير السلف الكمل ، تلقوا ذلك خلفا عن سلف ، إلى النبى ﷺ ، وهم فى ذلك متفاوتون ، فمن فاضل وأفضل ، وكامل وأكمل ، إنما ينبغى ويحسن لمن كان منهم أن يدعوا الناس إلى طريقهم وما كانوا عليه ، وينبغى لمن أخذ منهم عن الغير ، أن يكون أخذه على سبيل التبرك ، مع تمسكه بسيرة سلفه ، وما من أهل طريق إلا وقد خلطوا وبدلوا ، وخالفوا هدى سلفهم ، ما عدا آل أبي علوى ، ولا يبعد أن يكون لآل أبي علوى فى الآخرة رتبة ومزية ليست لغيرهم من الأكابر ، لما كانوا عليه من الضعف والخمول ، وعدم الشهرة وانتشار الصيت ، والذكر ، مع عظم الحال وجلالة القدر . وقال رضى الله عنه : اثنان لهم المنة على آل أبي علوى سيدنا أحمد بن عيسى خرج بهم من الفتن والبدع ، والفقيه المقدم ،

سلمهم من حمل السلاح ، وقال رضى الله عنه : الشهرة ليست من عادة سادتنا آل أبى علوى ، ومن أحبها منهم فإنما أحبها مؤقتاً ، ثم يعودون يكرهونها ، تربية من الله لهم عز وجل ، ومن كمل منهم لا يطلبها ولا يريدها . وذكر رضى الله عنه أناساً يدعون أنهم فى الفضل مثل السادة آل أبى علوى ، قال : لا تسابق من يَسبق ولا يُسْبق ، وإلا وقعت فى ثلاث خصَال ، لأنك لا تدركهم ، ويحصل عليك التعب الشديد ، والفضيحة بين الناس ، والسقوط من منزلتك التى كنت عليها ، وذكر رضى الله عنه مجاهدة السلف من آل أبي علوى فقال : كانوا يملئون الحيضان بالليل ، حتى لا يراهم أحد ، ويقومون من الليل بالصلاة والتلاوة ، ومرادهم بهذه الأشياء كلها وجه الله تعالى ، فيخفونها عن الخلق ، فقيل له : فما هذه الهمة التى كانت لهم ، فقال : بهذه حصل لهم ما حصل ، وأعطاهم الله بلا تعب ، أو يجلسون جالسين ويطلبون ذلك ، كأن الله سوى بينهم ولم يتميز أحد منهم ، على أحد ، فقيل له : قد أعطاهم الله هذه الهمة العظيمة فسبقوا غيرهم ، فقال : عرفوا الحق فطلبوه ، من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل . وقال رضى الله عنه : طريقة السادة آل أبى علوى العقيدة التامة ، والتعلق بالشيخ ، والتسربل بالسر ، وهى طريقة السالكين كالحسن البصرى وغيره . وقال رضى الله عنه نحن نتبع الطريق الأكبر المستقيم ، التى لا يكون فيها اعتراض لأحد ، وهو المهيع الواسع قال الله تعالى : ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾ وقال رضى

الله عنه : طريق السادة آل أبي علوى من تأملها عرف أنها الطريق الوسطى المعتدلة التى لا تنكر من رأى تواضعهم وزهدهم وفقرهم وخمولهم وسلامة صدورهم عرف ذلك ، ومن صحب أحداً منهم ولو فى بعض الشيء لا بد أن يقتدى به فى كل أحواله أو بعضها على حسب الحال والزمان وإلا خرج إلى الخلاف عن طريقهم حيث لم يتشبه بهم ، وقال رضى الله عنه : كل مجاذيب آل أبي علوى لديهم سر الباطن والظاهر ، وأكثر فى ذكرهم ، وقال رضى الله عنه : كان السادة آل أبي علوى إذا ظهر واحد منهم انطوى فيه الباقون ، وخملوا ، حتى لم يبق لهم وجود لأن السبب واحد . ولهم فى بعضهم البعض العقيدة التامة ، ولا رغبة لهم فى جاه ونحوه ، ومناقبهم لم يُدوّن أكثرها ، وإنما عرفنا منها ما عرفنا بطول مطالعتنا فى الكتب من سابق الوقت ، وكثيراً مما عرفناه ممن أدركنا من ثقاتهم ، وقد أجاد السيد على بن أبي بكر فى ذكره المناقب فى (**البرقة**) وأفاد ، لأنه أتى بهم من أولهم ، ولم يذكر الكرامات . ولكل بيت لآل أبي علوى مناقب ، ولكن تؤخذ مناقب كل بيت من أهله ، إذ كل يحفظ مناقب أهله . وقال رضى الله عنه : مقام سادتنا آل أبي علوى الضعف والمسكنة والخمول ، على غير ما هو لغيرهم من الصفات ، وهذه الصفات أمر عظيم فى التقرب إلى الله والسلامة فى الدين . وقال رضى الله عنه : قال رجل أعطونى طريق آل أبي علوى ، فقالوا له انظر إلى الأعمال ، ولا تنظر إلى الأقوال ، فمن أرادها فلينظر إلى أفعالهم . وذكر رضى الله عنه الشهرة فقال : الشهرة ما تعطى الرفعة

عند الله تعالى ، فكم مشهور فى بركة مستور . وكان سيدنا الفقيه المقدم غاية فى الخمول ، وله من التواضع مالا يكاد يوصف ، حتى أنه من عظم حاله يكره أن يسمى شيخاً ، وأول من سمى به ابن ابنه عبد الله بن علوى ، وكان إذا قيل له يا شيخ قال الشيخ أبوك ، وكان شيخاً فى العلم والنسب والسر ، وإذا سمع الإنسان بسير الأولياء اليوم ، يقول ما هذه إلا أضغاث أحلام ، فأين هى اليوم ، وذكر رضى الله عنه آل أبى علوى فأكثر ثم قال ، ما مدد آل أبى علوى إلا من بعضهم البعض ، وكم مشهور فى بركة مستور ، وكان السادة فى طبقات العامة يدخلون ويخالطون الناس مع غاية الخمول ، وإنما ظهر منهم السيد عبد الله بن أبى بكر العيدروس ، فلامه آل أبى علوى ، ويحصل للولى بمخالطة العامة تمكن وزيادة فضل ، والله أراد لهم الخمول وأرادوا ذلك لأنفسهم ، لأن ما نقص فى الدنيا زاد فى الآخرة وساعدهم القدر على ذلك . وكانوا يسمون الرقة لمن خاصمهم ، ومن تعدى عليهم ، أن يصاب سريعاً ، (والرقَّة) شجرة تقتل من يأكل منها . وقال رضى الله عنه : سادتنا آل أبى علوى أمورهم مرتبة على السنة ، والعوائد الحسنة ، ومن خرج منها فهو قليل خير ، وقال رضى الله عنه : سادتنا آل أبى علوى السادة الأطهار ، فلا تنجس نفسك بالمعاصى . وهم خاملون ما يظهر أحد منهم إلا بالدين والزهد ، والأصل الإقبال والتوجه ، وبيتهم معمور ، وليس المعمور كالخارب ، وقد قال سيدنا عبد الرحمن السقاف : مثل آل علوى مثل من يحفر فى طينة طيبة ، قريبة الماء ، وغيرهم كمن

يحفر فى أصل جبل ، وقال رضى الله عنه لبعض السادة يريد السفر : آل أبى علوى ما هم إلا بالمسابح والأوراد ، وما هذه الأسباب إلا حق الضرورة الذى لا بد منه ، ومن خرج عن طريق أهله صار مثل الغراب أعجبه مشى القطا ، فأراد أن يمشى مثلها فلم يحسن ، ثم رجع إلى مشيه فلم يحسنها ، ولم يعرفه ، وقد قيل فى المثل :

غراب تعلم مشى القطا — وقد كان يحسن مشى الحجل
فهرول ما بين هذا وذا — فلاذا تأتى ولا ذا حصل

ثم قال ، نفع الله به : وما يحسن بالإنسان إلا طريقة أهله ، فقال ذلك السيد : قد بعدنا منها ، فقال له : مازلت قريباً منها ، فأنت عليها ، ومن تركها بالكلية فهو الخارج عنها ، والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وما على الإنسان إلا أن يحفظ دينه ، وطريقه ، والطريقة ما هى إلا القراءة والتسبيح والصلاة ، ما هو إذا وصل المنزل غفل ولهى ، وجعل يهذى ويصلى صلاة غير جائزة ، أو أخرجها عن وقتها ، وأعد قراءة يس لكل مهم ، وفيها سر عظيم ، وعليها مدد كبير ، حتى على ألسنة الناس ، والسادة آل أبى علوى ما يحسنون تربية الجاه ، لأن أصلهم الفقر والمسكنة ، ومن النبذة المسماة (**تبصرة الولى بطريقة السادة آل أبى علوى**) تلقاها السيد أحمد بن زين الحبشى ، عن سيدنا الإمام السيد عبد الله بن علوى الحداد ، هذا ملخص ما قاله ، قال الله تعالى : ﴿ **وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم * صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض**

ألا إلى الله تصيرُ الأمور﴾ فهو ﷺ الهادى بنور الله من يشاء من عباده ، فمن سبقت له من الله العناية إلى الصراط المستقيم المشار إليه باسم الإشارة فى قوله تعالى : ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾ وهو مشروح فى كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، المبين بقول النبى ﷺ وفعله وتقديره ، المشاهد من أحواله وسيرته وأخلاقه كما عليه الأكابر من الصحابة رضى الله تعالى عنهم وأهل بيته ، ثم الصالحين من السلف والتابعين لهم بإحسان وتابعيهم كذلك ، وقد نقل ذلك الإمامان أبو طالب المكى فى (قوته) وأبو القاسم القشيرى فى (رسالته) ومن نحا نحوهم ، ثم فصله ونقحه وهذبه الإمام الغزالى وهو على طريقة السادة العلوية الحضرميين الحسينيين ، تلقوه هكذا طبقة عن طبقة ، وأبا عن أب ، وتوارثوه من لدن الحسين وزين العابدين والباقر والصادق وغيرهم من أكابر السلف هكذا إلى الآن . وبهذا يعلم أن طريق السادة بنى علوى ليس إلا الكتاب والسنة ، وهم درجات عند الله سبحانه وتعالى والله بصير بما يعملون ، فمن كامل وأكمل ، وعلى المهيع الواسع الموصل إلى الله عز وجل ، ومن سار عليه وصل ، إلا أنهم متفاوتون ، فمن سالك فى مسلكه الأوسط وهو عزيز جداً ، ومن منتهج جانباً ، ومن سائر على طرف سوى ، ومن سائر بسير السائرين عليه . فعلم أن طريقة آل أبى علوى فى صراط مستقيم ، وهم الذين أنعم الله عليهم بطاعته ، وطاعة رسوله ﷺ ، ومعية النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن

أولئك رفيقاً . وما خالف طريقة آل أبي علوي حيث يضادها فهو من السبل المتفرقة عن سبيل الله ، لأن مدار طريقتهم على عقيدة السلف ، وتصحيح التقوى والزهد فى الدنيا ، ولزوم التواضع ، ومعانقة العبادة ، وملازمة الأوراد ، واستشعار الخوف ، وكمال اليقين ، وحسن الأخلاق ، وإصلاح النيات ، وتطهير القلوب والطويات ، ومجانبة العيوب الخفيات والجليات . وأعلى الناس وأعظمهم أقربهم إلى الله العظيم ، والقرب إليه سبحانه وتعالى يكون بحسب قوة الإيمان به ، واليقين والإحسان ، وإقامة الفرائض ، والإكثار من النوافل ، والتخلق بأخلاق نبيه ﷺ ، المتخلق بأخلاق الله تعالى ، من الرحمة والرأفة والتنزه عن الأوصاف الذميمة ، والسلامة منها ، والاطلاع على حقائق الأمور ، إلى آخر الأوصاف الحسنى . وكل هذه من الحق الواضح ، والكلام عليه يتبين لطالب الحق إن شاء الله ، ولا يفخر به لأن الفخر فى الدين منفى بنفى الشارع ، وإن قصده قاصد فهو مخطىء حيث أثبت منفياً ، قال عليه الصلاة والسلام (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) نفى الفخر ، وبين الحق ، وأظهر نعمة الله عليه وتحدث . وهذا مما سمعته من سيدنا وشيخنا سيدى عبد الله بن علوى الحداد الحسينى السنى ، أو ما يقاربه لفظاً ، ويشبهه معنى ، قال بعض المفسرين (الكوثر أولاده ﷺ) لأن هذه السورة نزلت رداً على من زعم أنه الأبتر ، والمعنى أن نسله يبقى فى نسل فاطمة الزهراء على مر الزمان . فانظر كم قتل من أهل البيت ، ثم العالم مملوء منهم ، ولم يبق من بنى أمية أحد يعبأ به ، وأما

أهل البيت فلا حدَّ لهم ولا حصر ، وقد ملئوا الأرض شرقاً وغرباً ، ويمناً وحجازاً ، وشاماً ومصراً ، وهنداً وسنداً . فهؤلاء السادة العلويون ، من أهل البيت الطاهرين المطهرين ، والكاملين المكملين ، الجامعين بين العلوم الشرعية ، والمعارف الربانية ، والأسرار الآلهية ، والكرامات الباهرة ، والمعانى الفاخرة ، طابت أصولهم ، ونطقت بالحكمة أقوالهم ، وصفتهم نبوية ، وأفعالهم ذاتية ، وأخلاقهم علوية ، وشرفهم بضعة من البضعة المحمدية ، ولله در القائل :

إن يوم التطهير يوم عظيم   خص فيه بالفضل أهل الكساء

ومن الكتاب المذكور ، وفى الخبر : من حفظ حرمة الله وحرمة نبيه ﷺ وحرمة رحمه حفظ الله تعالى دينه ودنياه ، ومن لا يحفظ ذلك فلا حفظ الله دنياه ولا آخرته .

وقال الحافظ الزرندى فى ورده : لم يكن أحد من العلماء المجتهدين والأئمة المهتدين المرشدين إلا وله فى ولاية أهل البيت الحظ الوافر والفخر الزاهر كما أمر الله بذلك فى قوله تعالى : ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى**﴾ وتجده فى المهتدين معولاً عليهم متمسكاً بولايتهم منتميا إليهم ، وقد كان الإمام الأعظم أبو حنيفة من المتمسكين بودادهم ، وكان يتقرب بالإنفاق على المتسترين منهم فى زمانه ، وفى إحدى المرات أعطى واحداً منهم اثنى عشر ألف درهم دفعة واحدة لإكرامه ، وكان يأمر أصحابه برعاية أحوالهم ،

وتحقيق آمالهم ، والاقتفاء لآثارهم ، والاقتباس من أنوارهم ، والإمام الأعظم محمد بن إدريس الشافعى رحمه الله صرح بأنه من شيعة أهل البيت ، حتى قيل فيه كيت وكيت ، فقال مجيباً على ذلك :

قـــالوا تـــرفضت قــلت كلا ما الرفض دينى ولا اعتقادى
لـــكن تولـــيت غير شك حب إمـــام وخير هـــادى
إن كـــان حب الوصى رفضـــاً فـــإننى أرفض الـــعبـــاد

وقال رضى الله عنه : لا يخلو الزمان من الأفاضل من آل أبى علوى إمّا خامل مستور ، أو ظاهر مشهور ، وقال رضى الله عنه : ينبغى للإنسان أن يقتصر من الملبوس والمأكول والنوم والكلام على ما لا بد منه ؛ لأن على هذا درج السلف والأخيار ، وخصوصاً فى هذا الزمان الذى كثر فيه الحرام ، وقل فيه الحلال ، والنيات الصالحة ، فإن كان ممن وسع الله عليه فلينفق منه إن وفقه الله فى كل الأوقات ، وإلا ففى بعضها ، وإن كان ممن قتر الله عليه فما معه إلا ذلك أى ما أمكنه . وكان رضى الله عنه سمع بعض الأشراف يقول : نعم وجدى ، فقال له : كن مثل جدك ، وإلا فأنت سترة وصورة ، ولا شىء فى المقصورة .

ومن كلام سيدنا عمر بن زين بن سميط : الله الله فى القناعة والصدق ، ولا تتوغل فى الأمور فإن البركة فى القناعة ، وقال أيضاً : طريق آل أبى علوى إنما هى العلم والعمل والورع ، والخوف من الله

والإخلاص له عز وجل . وقال : لا شك أن مطالعة كتب القوم أفضل من التقرب بنوافل العبادات لما فيها من التعريف بحالى النفس ولما فيها من النفع المتعدى . وقد قال سيدنا الحداد فيما له من الإنشاد :

أما أن هذا الدهر قد ضل أهله … عمومهم فى لذة الفرج والأكل
وفى جمع مال خوف فقر فأصبحوا … وقد لبسوا قمصاً من الجبن والبخل
وقد درج الأسلاف من قبل هؤلا … وهمتهم نيل المكارم والفضل
لقد رفضوا الدنيا الغرور وما سعوا … لها والذى يأتى يبادر بالبذل
فقيرهم حرٌّ وذو المال منفق … رجاء ثواب الله فى صالح السبل
لباسهم التقوى وسيماهم الحيا … وقصدهم الرحمن فى القول والفعل
مقالهم صدق وأفعالهم هدى … وأسرارهم منزوعة الغش والغل
خضوع لمولاهم قنوت لوجهه … خشوع له سبحانه جل عن مثل
فقدنا جميع الخير لما ترحلوا … ومنهم خلا وعر البسيطة والسهل
وصرنا حيارى فى مفاوز جهلنا … نشبّه بالبهم السّويرحة الغفل
نخبّط لا ندرى الطريق إلى النجا … وبالجور نمحو سنة البر والعدل
فآه عليهم ليت داهية الفنا … بحزب الردى حلت وحزب الهدى خلّى
سأبكى عليهم ما حييت بعبرة … لها مدمع فى الخد يشهد بالثكل
وأحمل نفسى ما استطعت على اقتفا … سبيلهم حتى أوسّد فى الرمل

وقال أيضاً

فآه على عيش الأحبة ناعماً … هنيئاً مصفى من جميع الشوائب

وآه علينا فى غرور وغفلة ... عن الملأ الأعلى وقرب الحبائب
وآه على ما فاه من هدى سادة ... ومن سير محمودة ومذاهب
على ما لهم من همة وعزيمة ... وجد وتشمير لنيل المراتب
على ما لهم من عفة وفتوة ... وزهد وتجريد وقطع الجواذب
على ما لهم من عزلة وسياحة ... بقفر الفيافى والرمال السباسب
على ما لهم من صوم كل هجيرة ... ومن خلوة لله تحت الغياهب

وقال رضى الله عنه

بأجدادكم قد أظهر الله دينه ... وأشهرها فى شرقها والمغارب
وأنتم بها من بعدهم تخلفونهم ... باظهار دين الله معطى الرغائب

وقال أيضاً

تبلغ بالقليل من القليل ... وهَيِّ الزاد للسفر الطويل
ولا تغتر بالدنيا وذرها ... فما الدنيا بدار للنزيل

وقال سيدنا عبد الله بن حسين بن طاهر : كان سيدى على بن الحسين صاحب ثروة ، وكانت صدقته ومواصلته كلها سراً ، لا يطلع أحد على ما ينفقه ، حتى كانوا يتهمونه بالبخل ، ويتكلمون عليه ، فلما مات افتقر نحو ثلثمائة بيت من جيرانه وأهل محلته ، وظهرت حاجتهم واضطرارهم ، فَسُئِلُوا فقالوا : إنما كان تجملنا وسترنا بسيدنا على بن الحسين ، والآن انقطع علينا ماكنا نعهده ، وكان مؤثراً للأسرار رضى الله عنه ، وقال رضى الله عنه : القناعة من الله ،

والنظر إلى الناس والطمع بما فى أيديهم شؤم وإهانة ، كما قال صاحب الحكم : من أحسن إليك فقد ملكك برق إحسانه ، ومن آذاك فقد أعتقك من رق امتنانه ، لأن من أحسن إليك إذا وجدته تكلفت احترامه وتعظيمه ، والتواضع له فى الكلام والمجلس ، وغير ذلك ، ومن لم يحسن إليك لم تلتفت إليه .

قال الشيخ العلامة البوصيرى

آل بيت النبى طبتم فطاب الـ ـمدح لى فيكم وطاب الرثاء

سدتم الناس بالتقى وسواكم سودته البيضاء والصفراء

وقال فى (**المشرع**) واعلم أن السادة بنى علوى منحوا مراتب جليلة من صاحب الرسالة ، وخصوا بعدم الشهوات والشبهات ، واعتقاد أهل الضلالة . وقال فيه : ولما زوج النبى ﷺ عليا فاطمة قال : يا على لا بد للعرس من وليمة ، فقال سعد : عندى كبش ، وجمع له رهط من الأنصار آصعا من ذرة ، قالت أسماء ، وما كانت وليمة فى هذا الزمان أفضل من وليمة على على فاطمة ، وكانت آصعا من شعير وذرة وتمر وحيس ، ثم أمرهم ﷺ أن يجهزوها فجهزوها بسرير مشرط ، ووسادة من أدم حشوها ليف ، وخميلة وسقاء وقربة وجرتين ومنخل ومنشفة وقدح ومسك كبش . وقال فى (**المشرع**) أيضاً يتأكد على أهل البيت خاصة والناس عامة الاعتناء بتحصيل العلوم الشرعية ، والتحلى بالأخلاق النبوية ، والتخلى عن الصفات الدنيئة ، بأن نتوب لله ورسوله ونعمل صالحاً ، فمن تاجر مولاه أصبح رابحاً . وندع الأطماع الدنية ، ونرتفع إلى المقامات العلية ، بمعراج

﴿ **نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقاً كريماً** ﴾ أنترك التقوى مع علمنا بشرط ﴿ **إن اتقيتن** ﴾ وندعى الرفعة ونخضع بالقول ليطمع من فى قلبه مرض إذا رجونا نفعه . فحتى متى نجول فى ميادين البطالة ، ونحتسى كؤوس الجهالة ، ويقال لنا ولا نسمع ، ونضيع الأمانة إذا لاح لنا خلّب أو مطمع ، ونقرأ فى ﴿ **بيوتكن** ﴾ ولا نقرأ ﴿ **فى بيوت أذن الله أن ترفع** ﴾ نميل مع النفس والشيطان إلى كل دنيئة ، ونتبرج بالمعاصى تبرج الجاهلية . أيقال لنسائنا ﴿ **وَأقمن الصلاة وآتين الزكاة** ﴾ ونحن نضيع الصلوات ، ونتتبع الشهوات ، ونمنع الصدقات ، ونقبل الاقطاعات ، ونزاحم الفقراء على ما منعنا منه من جاءنا بالبينات . أما لو أطعنا الجد ، لساعد بالجد ، ولو وقفنا عند الحد ، لعادلنا بالمدد . فوا حسرتاه على شرف أضعناه وما كان من حقه أن يضاع ، وواه لعز جانبناه وما من شأنه أن يعار ولا يباع . اللهم أيقظنا من نوم الغفلة وارزقنا طاعتك وطاعة رسولك ﷺ ، واجعل إرادتنا تابعة لإرادتك ، حتى نتطهر من رجس معاصينا بطهور طاعتك ، والطف بنا يا لطيف حتى نكون بالتقوى والنسب النبوى سادات الأمة ، آمين اللهم آمين .

* * *

وقد ورد فى هضم النفس وعدم الافتخار بالأنساب ما ورد ، وقد يبتلى بذلك بعض أولاد الأخيار ممن لا بصيرة له ولا معرفة بحقائق الدين ، ومن افتخر على الناس بنسبه أو بآبائه ذهبت بركتهم عنه لأنهم ما كانوا يفتخرون ولا يتكبرون على الناس ولو فعلوا ذلك لبطل فضلهم .

وقد قال عليه وآله الصلاة والسلام : من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ، ولو أن الإنسان كان من أتقى الناس وأعلمهم وأعبدهم ثم تكبر على الناس وافتخر عليهم لأحبط الله تقواه وأبطل عبادته ، فكيف بالجاهل المخلط الذى تكبر على الناس بتقوى غيره وصلاح غيره من آبائه وأجداده ، فهل هذا إلاّ حمق عظيم وجهل فظيع . والخير كله فى التواضع والخشوع والخضوع لله ، فقد قال عليه السلام : « من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله » وإن حب الخمول والاختفاء وكراهية الشهرة والظهور من أخلاق صالحى المؤمنين ، ومن رضى بالدون من المجلس ومن اللباس والطعام وسائر متعة الدنيا فقد فاز فوزاً عظيماً . فاحرص أيها المؤمن على ذلك وعليك بسلوك الطريق التى ذكرها المشائخ ، وكن مجتهداً فى الاتصاف بما اتصفوا به ولو ببعض ما اتصفوا به ، لعلك تنجو من فساد هذا الزمان ، الذى قل خيره ورحمته ، وكثر شره ونقمته ، فاقتصد بعض الاقتصاد وكن فى جانب مما الناس فيه من العوائد ، وأقلل من المخالطة لقرناء السوء ، واسمع ما كان عليه ﷺ من التقلل من الدنيا وأصحابه ، مع إقبالها عليهم ، وزهدهم فيها ، والعمل للدار الآخرة التى هى خير وأبقى عند الموقنين من كل سعيد ، ممن ألقى السمع وهو شهيد . رزقنا الله محبتهم ، والاقتداء بهم ، والاهتداء بهداهم ، آمين آمين آمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

محتويات الكتاب

صفحة

صفحة